20 me. année No 970

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 4 — 2 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٠ «القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

بداية النهـــاية

للأستاذ سيد قطب

أيا كانت الظروف والأحوال ، فإن الاستعمار الغربي قد بدأ نهايته . بدأها في كل مكان ، وبخاصة في العالم العربي الإسلامي الذي يصطدم بالاستعمار اليوم في جبهات متفرقة ، ولكنها كلها متصلة .. يصطدم به اصطداما ظاهرا واضحا في مصر ، وفي تونس ، وفي مراكش ، وفي إيران ، كما يصطدم به اصطداما خفيا في العراق وفي سورية . وحركة الجزائر ما تزال مستمرة ، وفي هذه الأيام يقع اصطدام جديد على حدود اليمن . . وكلها حركة واحدة للخلاص . وكلها تشير إلى النهاية المحتومة رغم جميع الظروف والأحوال

ولقد كانت فرنسا تصطدم بالشعب التونسي وتسلط عليه الحديد والنار ، في الوقت الذي تصطدم فيه انجلترا بشعب الوادي وتسلط عليه الحديد والنار .. نفس الوسائل ، ونفس الأهداف ، ونفس العقلية : عقلية الاستعمار ، وعقلية المكافحين ضد الاستعمار

إنها لم تعد حركات وقتية متقطعة محلية ، تخمدها هجمة هنا وهجمة هناك . . إن الشعوب بأسرها تندمج في هذه الحركات التحريرية . وبذلك تصبح هذه الحركات قوة تمثل اتجاه الزمن ، وتشير إلى إرادة الله في الأرض ، وتستمد الوقود من الشعوب لا من الأفراد .. وهيهات هيهات أن تقف القوة ضد اتجاه الزمن ، وضد إرادة الله !

ولقد كان الاستعمار يلجأ دائما إلى الهيئات الحاكمة في كل بلد مستعمر ، فيستعين بها على الشعوب ؛ ولكن الهيئات الحاكمة لم تعد تملك أن تقف في معزل عن حركة الشعوب . . وها نحن أولاء نرى مصداق هذا القول في مصر وفي تونس على السواء

ففي مصر كانت حركة إلغاء المعاهدة تلبية مباشرة لضغط الشعب . . ولقد تغيرت الوزارة وجاءت وزارة سواها ، فكان أول تصريح لرئيس الوزارة الجديدة هو السير في نفس الطريق التي رسمها الشعب ، وإعلان الأهداف ذاتها بلا تلعثم ولا تردد ؟ لأن إرادة الشعب الواضحة لا يمكن أن يتجاهلها متجاهل ، مهما تغيرت الوزارات

وكان الحال كذلك في تونس . فالوزارة هي التي تصطدم بالاستعمار هناك ، مع الشعب خطوة بخطوة . ورئيس الدولة الأعلى هو الذي يقف في وجه العاصفة ، فيعرض قصره للحصار ، ويعرض عرشه للزوال ، ويعرض نفسه للهلاك .. ولكنها إرادة الشعب القاهرة ، التي تمثل حركة الزمن ، والتي تمثل إرادة الله

والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وما من شك أن النصر فى معركة الحرية لطلاب الحرية سواء وقفت الهيئات الحاكمة مع الاستعمار أو ضد الاستعمار . ولكن وقوف هذه الهيئات الحاكمة فى كل مكان بجانب الأهداف الشعبية سواء أكان ذلك اختيارا أم اضطرارا ، هو أمر له دلالته وله معناه .. ومعناه الواضح الصريح : أن حركة التحرير ، وأن قوة الشعوب ، قد بلغت المرحلة التى تجرف معها خصومها وأنصارها على السواء ، والتى تتحكم فى الموقف ، وتملى على الهيئات الحاكمة ما تشاء

ولو لم يكن إلا هذه الظاهرة وحدها لكفى بها دليلا على قرب النهاية ، لتقلص ظل الاستعمار البغيض ، الذى دام أكثر مما ينبغى ، وعاش أكثر مما تقتضى طبيعته أن يعيش.. ولكن هذه ليست الظاهرة الوحيدة فى معركة التحرير.. فالظاهرة الأخرى فى المعسكر الآخر هى ظاهرة الضيق والتبرم العنيف بالحركات التحريرية ، ظاهرة هياج الأعصاب ، وفقدان الصبر ، والفزع والقلق والاضطراب .. ولهذه الظاهرة دلالتها على الضعف الذى ينشأ عنه الذعر والهلع . فدولتا الاستعمار الغربى : انجلترا وفرنسا كلتاهما تعانى حالة من الإفلاس المالى والضعف العسكرى ، تشير إلى بداية النهاية كذلك . وليست واحدة منهما أو كلتاهما بقادرة على خوض معركة طويلة الأمد مع الشعوب التى لا تنى . لا مواردهما المالية ولا مواردهما العسكرية تسمح لها بخوض مثل هذه المعركة ، فى أرض خارجية تفصلها عنهما مئات الأميال ؛ لذلك تريدان أن تضربا حركات التحرير ضربة قاضية ، سريعة ، قبل أن ينكشف ضعفهما ، لعل هذه الضربة أن تخلصهما من التكتل الشعبى الذى تصطدمان به فى كل مكان

ولكن هيهات هيهات ! لقد مضى الزمن الذى كانت الحركات الشعبية فيه لا تزيد على أن تكون ثورات وقتية ، تطفئها ضربة قوية ، أو انقلاب سياسى ، أو مناورة دبلوماسية .. لقد استحالت الحركات الشعبية تصميما شعبيا لا يتزحزح — مهما تغيرت الأحوال — وإرادة واعية تستمد وقودها من رجل الشارع ، لا من المفكرين والمتحمسين والزعماء

ولا أحسب أن انجلترا أو فرنسا تشك لحظة فى النهاية المحتومة ؛ فإن تجارب البشرية كلها معروضة أمامهما ؛ وهذه التجارب كلها تؤكد أنه ما من فكرة اعتنقها جمهور الشعب ، حتى صارت فكرته الخاصة ، أمكن أن تقف فى طريقها قوة من القوى ، فى أى زمان أو مكان .. ولكن الاستعمار إنما يتشبث بمواقع أقدامه ليحصل على بعض الامتيازات الأخيرة فى مقابل الجلاء . وحتى هذه الامتيازات قد أدركها الوعى الشعبى ، واحتاط لها ، وما عاد يسمح بشىء منها على أى شكل من الأشكال

لقد حرق الاستعمار مراكبه مع الشعوب ، بما ارتكب معها من حماقات ، وبخاصة فى هذه الحركات الأخيرة . ولقد استحال الصراع بينه وبين الشعوب ، ثارات مقدسة ، وأحقادا عميقة . فما عاد يمكن أن تستجيب الشعوب لأى صوت يدعوها إلى الارتباط بعجلة الاستعمار على أى وضع من الأوضاع

وكل من يتصور أن الشعوب سترجع القهقرى من موقفها الذى انتهت إليه ، تحت أى ظرف ، وتحت أية مناورة .. إنما يخطئ فى فهم طبيعة الحركات الشعبية ، وينسى عبر التاريخ وشواهده .. إن كل خطوة يكسبها الشعب لا يمكن أن يتخلى عنها ، لأن حركة الشعب هى حركة الزمن . والزمن لا يرجع القهقرى ، ولا يتحرك مرة إلى الوراء

ولقد يخفت صوت الشعوب أحيانا ، وتتوارى حركاتها .. ولكن هذا ليس إلا ستارا ظاهريا لحركات خفية إلى الأمام . حركات تتم فى ضمير الشعب ، وتنضج فى أعماقه ، ثم تبدو فى صورة فورة جديدة ، وقفزة واسعة ، يخيل إلى بعض الناس أنها مفاجئة . وليست فى حقيقتها إلا امتدادا طبيعيا لم تظهر خطواته ، لأنها كانت تتم فى صمت ، فى أثناء فترة السكون

إنها بداية النهاية ، فعلى بركة الله فلتسر مصر ، ولتسر تونس ، ولتسر كل بلد يشتبك اليوم فى معركة التحرير الخالدة التى أوقدها الله ...

سيد قطب

بين الفصحى ولهجاتها

لمعالي الدكتور السيد محمد رضا الشبيبي
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اجتاز الشرق القريب فى الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية مرحلة حافلة بالأحداث ، اتسمت بنمو الحركة الفكرية ، ويصح أن تدعى فترة الوعى واليقظة

امتازت هذه المرحلة بإثارة كثير من الموضوعات حمى فيها الوطيس ، وتعددت فيها المعارك ، ومنها معركة القديم والجديد فى مختلف نواحى الحياة ، من سياسية إلى اجتماعية واقتصادية ، ثارت بين المجددين والمحافظين أينما وجدوا ، وفى مقدمتها معركة اللغة والكتابة العربية واللهجات ، إذ ظهرت دعوة ترمى إلى اصطناع هذه اللهجات الاقليمية المحرفة عن الفصحى فى بعض أقطار الشرق القريب . وحاول المحاولون أن يثيروا حربا عوانا على اللغة ، ووضعوا فى هذا الباب ما وضعوه من كتب ورسائل ومقالات

يهول بعض المعنيين فى هذا الشأن بعنف الصراع القائم بين الفصحى واللهجات المحلية ، ويشيرون إلى قيام ضرب من تنازع البقاء بين الجانبين ، ويضربون الأمثال من اللغة اللاتينية ولهجاتها ، بل من اللغة العربية وأخواتها الساميات على اعتبار أنها لهجات تفرعت من أصل سامى بائد ، ثم يسرفون فى التكهنات والاحتمالات

ظن فريق من هؤلاء الباحثين أنهم أول من طرق باب البحث من اللهجات على هذا الشكل الحديث ، وأنه لم يحم حول هذا الموضوع أحد من قبل ، مع أن غير واحد من أعلام الأدب واللغة وأئمة القراءات أشاروا إلى فساد اللسان ، وإلى اضطراب اللهجات اللغوية المحكية ، وشذوذها فى عصورهم . ولهؤلاء اللغويين القدماء عناية فائقة بالبحث عن اللهجات ، ومن هذا القبيل تلك الرسائل والكتب التى جردت فيما تلحن فيه العامة أو الخاصة . وكم من معركة أثيرت بين اللغويين فى هذا الباب مرماها انتقاد اللهجات وإصلاح ما اعتراها من فساد ، وهى كتب كثيرة ، وجلها متداول معروف . ولما استفحل شأن اللهجات فى العصور الأخيرة ، وطغى على اللغة سيل جارف من الكلمات الدخيلة ، وفطن المعنيون بذلك إلى الخطر الذى يتهدد العربية من هذه الناحية ، بادر اللغويون المحدثون إلى العناية بالبحث عن أصول الكلمات العامية وردها إلى الفصحى ، وأوجدوا أوضاعا لغوية ، ومصطلحات عربية ، تقابل الأوضاع والمصطلحات الدخيلة ، واختاروا أسماء لمسميات هجمت بها علينا هذه الحضارة الحديثة ، وقد وضعت فى ذلك معجمات ورسائل لغوية كثيرة

من ذلك يتضح لنا أن البحث من اللهجات قد اتخذ أطوارا شتى يعرفها من ألم بتاريخ آداب اللغة العربية فى مختلف العصور . وهذا ابن خلدون عالج موضوع اللهجات المتفرعة من لغة مضر على وجه يفهم منه أنها كانت متميزة فى عصره وهو يسميها « لغة الجيل » ، ويقارن بينها وبين « اللغة المضرية » وقد أفرد فى مقدمته المشهورة فصولا للبحث فى هذا الشأن . منها فصل عنوانه « لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير » ، وآخر عنوانه « لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر » إلى فصول أخرى ، يشير ابن خلدون فى بعضها إلى مميزات لهجة عصره أو لغة جيله كما يقول ، ومن تلك المميزات زوال الإعراب ، وظهور الوقف فى آخر الكلمات

من ذلك نعلم أن اللهجات بمعنى من المعانى قديمة قدم اللغة . ومن هذا القبيل لهجات القبائل اللغوية فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وهى لهجات استند إليها القراء فى تخريج القراءات ، وأشار إليها المؤلفون فى هذا الفن . وتعتبر هذه اللهجات كلها فصيحة مع أن بعضها شاذ مهجور . ثم تفرع من الفصحى نوع آخر من هذه اللهجات المحلية نشأ فيه التحريف وفسد النطق ، فأصبح للكتابة لغتها ، وللكلام لهجته ، وذلك فى الأقطار التى استقر بها العرب والمسلمون الفاتحون فى أول عصور الدول الإسلامية بعد عصر الراشدين

ما من شك فى أن الشقة تباعدت ، ولم تزل ، بين اللغة

(*) نص المحاضرة التى ألقاها معالى الدكتور الشبيبى فى مؤتمر المجمع، ولقد أثارت هذه المحاضرة فى الأعضاء اهتماما شديدا بموضوعها فناقشوه نقاشا مستفيضا يدور على التأييد والشكر

الأصلية وفروعها ، وأن الجفاء والشذوذ تفاقم بمرور الأيام حتى زعم من زعم أن بين هذه اللهجات المتعددة من جهة ، وبين أمها الفصحى من جهة أخرى، صراعا مريرا، وأن نتيجة هذا الصراع تغلب إحدى هـذه اللهجات واندماج سائرها في لهجة بعينها ، ثم تصبح لغة مستقلة نصطنعها في الكتابة والكلام سواء بسواء . ومن المحال في زعم هؤلاء الزاعمين أن تبقى الفصحى محتفظة بوحدتها الأولى زمنا طويلا مع هـذه الفوارق . وهم يتوقعون أن تتحول هـذه اللهجات يوما ما إلى لغات مستقلة قائمة بنفسها ، غير مفهومة إلا للمتكلمين بها ، كما أن الفصحى ستكون لغة غير مفهومة للمتكلمين بهذه اللهجات بالمرة ، وهو فيما نرى = إسراف في التكهن والرجم بالغيب . ويؤيد بعضهم على ذلك قائلا : إن لهجة القاهرة الشائعة هي لغة المصريين في المستقبل . ولماذا لا يقال في لغة المجتمع المصرى هـذه أنها هي لغة الطبقة المثقفة المتعلمة بعينها ، وهي هـذه الفصحى السليمة الموحدة من حيث النطق، ومخارج الحروف، وإن كانت عارية من الإعراب ، لا تلك اللهجات الشاذة

يغالى أنصار اللهجات بآرائهم قائلين : إن هناك صراعا بين الأم وفروعها ، أو بين الفصحى ولهجاتها ، ونحن نقول لهم : لماذا لا يسفر هذا الصراع أو تنازع البقاء عن نتيجة حاسمة يصح فيها الصحيح ، ويبقى الأصلح نزولا على حكم مذهب النشوء والارتقاء

أو يدوم صراع لغوى مدة تشارف الألف والثلاثمائة سنة ؟ والحق أنه ليس هناك صراع بل هناك شذوذ وجفاء ، وهناك ازورار وانحراف في هذه اللهجات المحلية ، من مصرية وعراقية وشامية ومغربية ، فما هذه اللهجات سوى اللغة العربية محرفة عن أصلها . كانت الفصحى معربة قبل الوقف محل الإعراب ، وكان التلفظ والنطق موحدا فطرأ ما طرأ عليهما من الاضطراب والفساد والتحريف والتشويه بسبب هجرة المسلمين والعرب الفاتحين إلى شتى الأقطار البعيدة عن الجزيرة العربية

ليس من الإنصاف ولا من الصواب أن ندعو ما نحن بصدده صراعا بين الأصول والفروع ، بل هو ضرب من الشذوذ والانحراف لا بد أن ينتهى إلى صلح ووئام . ومن الخطأ قياس من يقيس ما حدث للفصحى بما حدث للاتينية ، أو السامية البائدة ، ثم يسرفون في التكهن ، والاحتمالات البعيدة ، ويتوقعون أن تتخلى الفصحى عن مكانتها لتدخل في ذمة التاريخ في بلد كالعراق ومصر والشام والمغرب ، كما دخلت اللاتينية في ذمة التاريخ في الأقطار المأهولة بالشعوب اللاتينية . وقد تكفلت بحفظ الفصحى وحياطتها وخلودها معجزة القرآن ؛ فلولا إعجاز القرآن لجاز أن يحدث لهذه اللغة ما حدث من قبل ذلك للغة اللاتينية

تجتاز هذه الأقطار المأهولة بالناطقين بالضاد مرحلة عصيبة ، وهـذه الشعوب الآن أحوج ما تكون إلى التفاهم والتعاون ، ووحدة اللغة . ولو اصطنعنا هـذه اللهجات الفاسدة لاستحال تحقيق الوحدة اللغوية ، ولتعسر التفاهم أو التخاطب بين الشعوب المذكورة

ما أكثر عيوب هـذه اللهجات ومساوئها ، وفي مقدمتها أنها عاجزة عن تكوين تلك الوحدة؛ فلكل قطر لهجته ومميزاتها التي تجعل منها أداة غير صالحة للتفاهم في أمة تسعى لتحقيق وحدتها اللغوية

ولنا أن نقول في مساوئ اللهجات أكثر من ذلك ، فإنها في القطر الواحد يسرع إليها الانحلال ، فهي عرضة للاضطراب والفساد . فها نحن أولاء نجد لكل إقليم عندنا في العراق ، بل لكثير من الحواضر أحيانا لهجة خاصة ؛ فأهل الموصل في الشمال لهم لهجتهم ، وهي لهجة لا يستسيغها أهل بغداد وأواسط العراق لاختلافها عن لهجتهم المألوفة . وأهل البصرة في الجنوب ، يعرفون بلهجة تختلف بعض الاختلاف عن لهجة بغداد . وعلى كل فإن لهجة أهل الريف عندنا تختلف عن لهجة أهل الحواضر اختلافا ظاهرا . ومثل ذلك الاختلاف بين لهجات الريفيين القاطنين في البطائح والبحيرات ولهجات القبائل الرحل في العراق . وفي وسعك أن تعرف بلد المتكلم أو قطره من لهجته . وليس هذا الأمر فيما نرى خاصا بالعراق ؛ فمصر وسورية وأقطار الغرب لا تختلف عن العراق من هـذه الناحية . والمعروف هنا أن لأهل الصعيد لهجة خاصة ، وتشبهها فيما قيل لى لهجة أهل الشرقية والبحيرة . ويبدو لى على ما أكد لى غير

واحد من أدباء مصر أن لهجة أهل الصعيد أقرب إلى لهجات أهل البادية فى بعض أقطار الشرق العربى كالعراق والشام ، فإن الحروف التى أصبحت أثراً بعد عين فى منطق أهل القاهرة والاسكندرية وما إلى هذه الجهات مثل القاف والثاء المثلثة ، والجيم الفصيحة، لاتزال باقية على حالها فى منطق أهل الصعيد ، وهى كذلك فى لهجة أهل العراق . فنحن بأمس الحاجة والحالة هذه إلى لهجة موحدة . ولا غنى لنا إذا أردنا التفاهم عن تكوين هذه الوحدة . وقد اعترف غير واحد من الأساتذة المصريين الذين زاولوا مهنة التدريس فى مدارس العراق بأثر الفصحى فى تكوين الوحدة اللغوية المنشودة

لماذا يعنى أبناء الشرق العربى ، بل شعوب الشرق الإسلامى باقتناء المؤلفات المصرية الحديثة ، بل باقتناء المطبوعات المصرية مهما كانت ؟ ولماذا هذا الإقبال العجيب على مؤلفات أعلام المصريين المعاصرين ؟ ولماذا يعجب من يعجب بترسلهم ؟ ولماذا يؤخذ من يؤخذ بسحر بيانهم فى أقطار الشرق والغرب المأهولة بمن ينطق الضاد

قد تعجبون إذا قلت لكم إن مرد ذلك لا إلى معالجة الأبحاث العلمية أو الموضوعات الأدبية فى حد ذاتها ، وإنما لسبك تلك الموضوعات وأدائها بأساليب لغوية أصيلة البيان مشرقة الديباجة . فهذه الطبقة من الكتاب والمؤلفين المصريين درست على آثار الطبقة الأولى من المترسلين فى الفصحى ، وحذت حذو الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والصابى، وغيرهم من أئمة المترسلين ، ونهجت منهجهم فى البيان والبلاغة . فشعوب العرب والاسلام وقد أصبحت شعوباً واعية يقظة فى عصرنا هذا تعنى العناية كلها ببعث الأساليب العربية الأصيلة ، وتعتز بإقالة الفصحى من عثرتها بعد كبوة طويلة . فعصرنا هذا يمتاز بنمو العاطفة القومية ، والشعور الصادق ، والاعتزاز بالأدب القيم ، والتطلع إلى بعث تراثه القديم

ولو أن هؤلاء الأعلام المصريين استجابوا لدعوة الدعاة إلى اصطناع اللهجات فيما يكتبون وينشئون لأعرض الناس فى الشرق كله من عرب ومسلمين عن اقتناء ما يصدر إليهم من مطبوعات هذه البلاد . ولا نبالغ إذا قلت لكم إننا نعتبر هذه الدعوة خطراً على اطراد الوعى ونمو الشعور . ونحن واثقون أنها دعوة ضعيفة لا تستطيع الصمود فى طريق هذا الوعى المطرد إلا كما يصمد الهشيم فى سبيل السيول الجارفة . فهذا الوقوف فى طريق اليقظة الراهنة مخالف لطبيعة الأشياء ، وهو إذا جاء من طريق التساهل فى الوحدة اللغوية أدهى وأمر

لا غنى لشعوب الشرق العربى وفى طليعتها العراق والشام ، ولا غنى لشعوب الغرب العربى وفى طليعتها مصر وأفريقية ، عن هذه الوحدة اللغوية والرابطة المعنوية التى تتجلى فى الفصحى دون غيرها من اللهجات

نعم إن الصعوبة فى الفصحى تأتى من ناحية الإعراب ، وقد زال هذا الإعراب لأنه لم يعد عملياً فى عصرنا الحاضر على الأقل ، فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها ، وتقويم النطق بها ، ولو بالتخلى عن الاعراب إلى حين إلا فى التلاوة وما إليها ، على أن ينظر فى حل مشكلة الاعراب ، وأن يعهد بذلك إلى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا شبهة أن الكتاب الجيد تكفل بحفظ الاعراب . وقد يعلل زوال الحركات أو الاعراب عن أواخر الكلمات بأن العرب كانوا فى الجاهلية ، وفى صدر الإسلام مطبوعين على الحركة واحتمال الشاق فى حلهم وترحالهم وفى مغازيهم ، فما كانوا يجدون جهداً أو كلفة فى تحريك أواخر الكلمات . فلما أخلدوا إلى الترف ، وسكنوا إلى النعيم فى المدن الزاخرة مالوا إلى الوقف والسكون . ولا يخفى أن الإعراب أو تحريك أواخر الكلمات يقتضى جهداً لا يقتضيه الوقف والاسكان ، وبمثل ذلك يعلل تسهيل بعض الحروف أو زوالها من النطق بتاتاً فى هذه اللهجات حيث يتطلب النطق بها بذل بعض الجهد والطاقة

يجب أن تنتظم هذه الأقطار رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية أو الوحدة الأدبية ، ولا يمنع ذلك قطراً من هذه الأقطار أن يستقل سياسياً عن سواه . وهكذا نحن نرى رابطة الشعوب البريطانية تعززها رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية . وكم نوه قادة هذه الشعوب ، وكم أشادوا بذكر هذه الرابطة ، لأن فى تعزيز هذا النوع من الوحدة ضماناً أكيداً لكثير من مصالح الشعوب المذكورة معنوية ومادية ، ومدعاة لتعاونها

وتضافرها ، واتحادها فى اللغات

يروى فيما يروى من بسمارك بطل الوحدة الألمانية أنه قال : أهم حقيقة يمكن تسجيلها فى القرن التاسع عشر هى الوحدة اللغوية بين بريطانيا وأمريكا . والظاهر أن هذا الداهية الألمانى كان يحسب حساب هذه الوحدة ، وخطرها البالغ على الشعوب الألمانية . وقد قال تشرشل منذ أسبوع فقط أى فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر ، وهو يخطب الأمريكيين بواشنطون ما هذا نصه : يجب أن نعمل فى القرن العشرين على تحقيق ما قاله بسمارك فى القرن التاسع عشر » هذا ما قاله تشرشل وهو يعنى تعزيز رابطة اللغة الانجليزية فى بريطانيا وأمريكا . وقد حملت الأمتان — والحق يقال — كل شئ فى سبيل تعزيز هذه الرابطة حتى قادهما ذلك إلى الظفر الحاسم فى الحروب الأخيرة

إذا أرادت مصر أن يدوى صوتها فى المجامع الدولية ، بل إذا أرادت أن تكون مرهوبة الجانب فعليها أن تستند إلى تعزيز رابطتها معنويا وماديا بشعوب الشرق ، غير عابئة بهذه النعرات الاقليمية الهدامة ، واللهجات المضرة بتلك الجامعة اللغوية

أدى تشعب اللهجات واضطرابها من ناحية الاختلاف البعيد فى النطق ، وفى إخراج الحروف وما يترتب على فساد النطق بها من الاستعجام إلى تكون مشكلة من المشكلات الاجتماعية ، بيد أن حلها ليس بمتعذر ، وهو يتوقف على إزالة هذه الفوارق بين لهجاتنا ، وتوحيد النطق والتلفظ ، وضبط الكتابة بموجب قواعد عامة توضع لهذا الغرض . وليس ذلك بمستحيل على العاملين المجتهدين . ولنأخذ مثلا كلمة (يصفق) إذ نجدها فى اللهجة المصرية : (يسأف) ، وهى كلمة مستحيلة اجتمع فيها القلب والابدال، وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا . وفى سوريا يقولون (يصفأ) بقلب القاف همزة ، وفى العراق يقولون (يصفج) تنطق القاف كافا فارسية فى العراق . ومثل ذلك فى كلمة (أول) التى تلفظ بفتح الواو فى العراق ، بينما يقال فى اللهجة المصرية : (أول) بكسر الواو . وفى كلمة (اضرب) كما تلفظ فى العراق بكسر الراء ، أما فى اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا ، إلى ضروب أخرى من اضطراب النطق وفساده فى هذه اللهجات المختلفة باختلاف الأقطار . وعلى هذا لا مناص لنا من إصلاح النطق ، وتقويم الألسنة ، وهو الحل الوحيد لهذه المشكلة، وفيه المخرج من هذا المأزق .

إننا نقرر على أن الاعراب فى اللغة المحلية لم يعد عمليا، وليس من السهل الالتزام به ، ولكن التخلى عن الاعراب فى النطق شئ ، والتخلى عن سلامة النطق وتقويم اللسان وفتح الباب على مصراعيه للكلمات الدخيلة أو العامية الفاسدة شئ آخر . وفى وسع الدول التى تعتز الآن بالفصحى وتنص فى دساتيرها الأساسية على ذلك ، وهى الدول العربية ، وفى وسع الهيئات المعنية بشئون الثقافة فى الدول المذكورة أن تعمل كثيرا فى هذا الشأن

فما المانع الذى يمنعها من العناية بتوحيد المصطلحات فى معاهد العلم وفى غيرها من سائر مصالح الدولة ؟ وما المانع الذى يمنعها من السعى الى إصلاح النطق وتوحيد اللفظ فى اللهجات المختلفة على وجه يسهل التفاهم بها فى المجتمع وبين الطبقات ؟ وما المانع الذى يمنعها من توحيد مناهجها فى تعليم اللغة العربية ؟

لا نبالغ إذا قلنا إن المصرى لا يفهم من العراقى فى لهجته الشائعة الآن إلا بمشقة . وكذلك العراقى لا يكاد يفهم من المصرى فى لهجته إلا بعناء . ولا يعد تغاير الكلمات ، والتعابير المولدة خطرا كبيرا فى حد ذاته على اللغة ، فان أكثر تلك الكلمات عربى الأصل والمادة ، ولكن الخطر الذى يتهدد الفصحى كامن فى اضطراب النطق واختلاف النبرات وتباين اللفظ ، فهذا الفساد هو الخطر الذى يوسع الشقة بين لهجاتنا ، حتى ليخشى أن تصطنع اللهجة الفاسدة المولدة فى بعض الأقطار مع الأيام ، وتنسى الأم التى ولدت منها . ولولا الثقافة الاسلامية التى تقوم على أساس متين من مدارسة الكتاب وتفسيره ، ورواية الحديث وحفظه ، لوقع ما كنا نخشاه

لقد آن للمجامع اللغوية ، وفى طليعتها هذا المجمع المعنى بشئون الفصحى ، وجعلها وافية بمطالب الحياة والحضارة فى هذا العصر ، أن تعنى بهذه الناحية ، وبالبحث عن طريقة لضبط النطق واللفظ فى الأقطار ، وتخليص لهجاتها من هذا الاضطراب. ولا يستحيل ذلك فى عصر تعددت فيه وسائل التفهيم والتلقين . والمجمع بحكم وظيفته مطالب بالكف من غلواء دعاة اللهجات

وتقليبها ، خصوصاً إذا علمنا بأن هذا الجفاء القديم بين الأم وبناتها الناشزات يسير إلى نهاية غير تلك النهاية التي انتهت إليها اللغة اللاتينية مع فروعها ، إذ سينتهي الخلاف فيما نحن فيه إلى وئام ، وهو وئام تمهد له الآن صحافتنا العاملة في سائر الأقطار العربية ، ولهذه الصحافة الراقية ، ولدور النشر أثرها المحمود في هذا الشأن . ولا ينكر أثر الصحافة المصرية في لهجة المجتمع أو الشعب ، وفي ترقية الذوق اللغوي في مصر ، فإن لهجة الشعب المصري الآن أدنى إلى الفصحى مما كانت عليه قبل جيل . ومرد ذلك إلى انتشار الصحافة المصرية الراقية ، وتكاثر قرائها يوماً بعد آخر ، وازدياد عدد المتعلمين . وكلما تقلصت الأمية ، وكوفحت في مصر ، وفي أقطار الشرق العربي — وهي تتقلص وتكافح الآن في كل مكان — تضاءل خطر اللهجات على الوحدة اللغوية ، وصانت الألسن على المنطق السليم .

محمد رضا الشبيبي

إلى الشعب المصري

للأستاذ علي الطنطاوي

يا أهل مصر ، اثبتوا على جهادكم ، فإنا جميعاً معكم . قضيتكم قضيتنا ، وعدوكم عدونا . ما ضرنا أن تفرق بيننا الحدود على الأرض ، والألوان على الصور ، ما دام يجمعنا الإسلام ، وتوحد بيننا العروبة ، وتربطنا الآلام والآمال ، وذكر الماضي ، وأماني المستقبل . فنحن الإخوة ، تمددت بيننا المنازل ؛ ولكن الدم يجمع الإخوة جميعاً ، والحب والمنشأ والمصير . ومصر أختنا الكبرى ، فلئن خذلنا مصر ، إنا إذن لشر إخوة في الدنيا

وما نسينا ، والله يا أهل مصر ، موقفكم منا يوم عدا العادون من بني السين ، دعاة الحرية . . . وأحفاد من نادوا بحقوق الإنسان .. على جمهوريتنا وبرلماننا ، وحريتنا في أوطاننا ، أفتروننا نقعد عن نصرتكم وقد عدا عليكم العادون من أبناء التايمس ، أدعياء الديمقراطية . وأبناء من (ابتدعوا) البرلمان !

فأين إذن ، حقوق الأخوة ، وأين واجبات الوفاء ؟

أننام على فرش الأمن ، وننعم بالدعة والخفض ، ونشرب العذب من بردى ، ونؤم الضاحي من سفوح قاسيون ، نلهو ونتمتع ، وإخواننا على حفافي النيل ، وجوانب القناة ، يخوضون اللهب ، ويقتحمون الحديد ؟ وإخواننا هناك تهدم بيوتهم ، ويصرع فتيانهم ، ويعتدى عليهم في أوطانهم ؟

لا والله ، ولكن نألم إن ألموا ، ونجزع إن جزعوا ، ونخوضها حمراء عابسة الوجه ، يرقص فيها الموت ، إن دعتنا إلى خوضها الأخوة ، ونادانا الجذم والدين واللسان ، ولا منة لنا ولا فضل

ولن نعيد مأساة فلسطين !

لن نعيدها . حلفنا وأيدينا مغموسة بدماء شهدائنا الذين أردتهم المعركة مع اليهود ، ونسائنا اللائي بقرت بطونهن أكف يهود ، وأطفالنا الذين ذبحتهم أيدي يهود !

حلفنا لنثأرن لهم ، ولن ندع مأساة كمأساة فلسطين تمثل في ديارنا ، بتخاذلنا وانقسامنا ، واستسلامنا لخدم أعدائنا : الإنكليز وأحلاف الإنكليز

نهضنا لنصر مصر على قدم واحدة ، اجتمعنا على ذلك على اختلاف الأحزاب والمذاهب والآراء . وتعالوا انظروا ، تروا الشباب في الطرق ، والشيوخ في الأسواق ، والطلاب في المدارس ، والنساء في البيوت ، وحول كل راد [1] ، وأمام كل بائع جريدة ، على ألسنتهم جميعاً حديث مصر ، وفي قلوبهم جميعاً حب مصر ، وفي عروقهم تغلي الدماء حماسة لمصر ، وشوقاً إلى السفر لمصر ، للجهاد مع أهل مصر

الشعب هنا كله معكم ، والحكومة معكم ، كلهم مع الحق الذي هو معكم ، وعلى الباطل الذي هو مع عدوكم

وسيكون الظفر والله معكم

(١) المذياع : محطة الإذاعة ، والراد : الراديو لأنه يرد علينا الصوت المنتشر في الفضاء

إن هذه المصائب امتحان للشعوب ، اصبرها ولرجولتها .
وإن هـذا الشعب العربي قد جاز آلاف المحن ، وخرج منهـا فائزا مجليا

أي أرض فوق الأرض ، وأي مكان تحت النجم ، لم يوار فيه هذا الشعب شهيدا من شهدائه ، ولم يبلغه رائد من رواده ، ولم يرفع علمه يوما عليه ، ولم يشهد ظافرا له ، ولم يسمع نشيده العسكري ، يهتف به الجندي المسلم ، فيرتج منه كل واد ، ويرجف كل جبل ، وتميد كل فلاة : (الله أكبر)

(الله أكبر) هذا هو نشيدنا في حربنا ، وهتافنا لصلاتنا ، ودعاؤنا بين يدي ربنا . فكونوا مع الله ، ولا تخشوا الإنكليز ، لأن (الله أكبر) من انكلترا ، ومن يشد أزرها . (الله أكبر) من مدافع الإنكليز ، ودباباتهم ، وطياراتهم ، وأسطولهم

فلا تخافوا سلاحهم فإن أجدادنا ما حاربوا الأبيض والأسود ، ولا فتحوا الشرق والغرب ، ولا ملكوا ثلثي العالم المتمدن في ثلث قرن ، لأن سلاحهم أمضى ، أو لأن عددهم أكثر . ما انتصروا إلا بالإيمان

الإيمان مكن للفئة القليلة منهم أن تغلب الجيش الكبير من أعدائهم . الإيمان جعل السيوف الملفوفة بالخرق ، أمضى في أيديهم من المهندات المذهبات في أيدي خصومهم . الإيمان أظفر الأمة البدوية الجاهلة المتفرقة ، بدولتي الأرض ، وأمبراطوريتي الزمان : فارس والروم ، ففتحت بلادهما ، وورثت أرضهما ، ثم أنشأت حضارة خيرا من حضارتهما ، ومدنية أزهى وأنفع من مدنيتهما

الإيمان بالله ، والإيمان بالظفر ، والإيمان بأن الحق معهم

فإذا كنتم مؤمنين بأنكم تدافعون عن حقكم ، فلن يغلبكم أحد ، لا الانكليز ولا حلفاء الانكليز

ولقد حاربت جماعات من أهل الشام فرنسا ، يوم كانت فرنسا أقوى دول أوربة في البر ، في أعقاب الحرب العالمية الأولى وما كان لهم سلاح إلا الذي يأخذونه من جنود فرنسا ؛ ومع ذلك فقد وقفت فرنسا بدباباتها ومدافعها سنتين أمام مئات من الثوار ، يقودهم خفير عامي من دمشق اسمه حسن الخراط

فكيف ومصر الدولة العربية الكبرى ، وفي مصر العدد والعدد والمال ، ومع مصر كل قطر عربي ، وكل بلد مسلم ؟

* * *

إنه ليس على ظهر الأرض شعب كهذا الشعب الذي صب محمد البطولة في أعصابه ، حتى لا يكون المرء عربيا ولا يكون مسلما حتى يكون بطلا

أما ترون العربي إذا دعي باسم العرض ، أو دعي باسم الأرض ، أو دعي باسم الدين ، كيف تغلي دماؤه في عروقه فيحس حرها في قحف رأسه ؟ وكيف تشتد أعصابه ، وتثور عزيمته ، حتى ليقتحم النار ، ويركب الأخطار ؟

أما ضرب هذا الشعب ، على بطولته ونخوته آلاف الأمثلة في الماضي وفي هذه الأيام ؟

أما حارب عبد القادر فرنسا سبع عشرة سنة ؟ أما نازل عبد الكريم فرنسا وأسبانيا معا ؟ أما قاتل العراقيون الانكليز في الرميثة ؟ أما فعل الفلسطينيون سنة ١٩٣٦ الأفاعيل ؟

أما كان لمصر سنة ١٩١٩ الأيام الغر المحجلات في مواكب الزمان ؟

فإن مضى سعد ، فكلكم يا أهل مصر سعد تسعد به مصر

فإلى السلاح جميعا ، وإلى الحرب . وإن فقدتم السلاح فحاربوا بالعصي ، وحاربوا بأيديكم ، واطلبوا الموت يعجزوا عنكم ، لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا عشرين مليونا تريد الموت

وقبل حرب الميدان ، حاربوهم بالعلم ، وبالأخلاق ، وبالدستور الاقتصادي الصحيح ، وأعدوا لهم كل أنواع القوى : قوة الجسم وقوة العقل وقوة القلب وقوة المال وقوة الجيش

ونحن جميعا معكم :

هذي يدي عن بني (قومي) تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

دمشق

علي الطنطاوي
قاضي دمشق

جلاء ... وجلاء

صفحة من الكفاح المصرى منذ ١٥٠

للأستاذ محمد محمود زيتون

ابتليت كنانة الله فى أرضه بالاحتلال الفرنسى ، والأمراء المماليك يسومون أهلها سوء العذاب ، وسلطان العثمانيين يتقلص ظله من حيث لا يشعرون . ثم إن هذه الفترة قد سجلت صراعا محتدما بين إنجلترا وفرنسا من جانب ، وبين تركيا والمماليك من جانب آخر

زعم نابليون أن مصر ستنقاد له بمجرد إذاعة المنشورات التى أعدها وهو لا يزال يمخر عباب البحر ، ولم يكن يدرى أن المصريين يستمدون المقاومة الشعبية منذ ترامت إليهم أنباء تحرك سفن الحملة من جزيرة مالطة فى طريقها إلى الإسكندرية

وفى الحق أن الحملة كان مقضيا عليها بالفشل ، منذ ألقت مراسيها بالاسكندرية فى ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٨ لأن المتاعب التى ستواجهها ستزيد على الحصر . وإذا كان فى الإمكان ضرب عدو بآخر للتخلص منهما معا مما لا يحتاج فى العرف السياسى إلى غير الحنكة والدهاء ، فإن اليقظة الشعبية كانت بمثابة الصخرة الغليظة فى حلق الاحتلال

ومنذ الساعة الأولى بدأت قوات الاحتلال تطارد المماليك حتى تشتت شملهم فى أقاصى الصعيد ، وخذلوا الشعب الذى لم ير بدا من الدفاع عن شرفه ولو لم يكن لديه من سلاح إلا الحجارة والقلاع وأبواب الحارات والسلاسل والمتاريس

وبينما كان الفرنسيون يتوغلون فى البلاد كانت الأنباء تترامى شرقا وغربا . أما تركيا فكانت مشغولة ببلواها عن بلوى غيرها ؛ وحسبها قلاقلها الداخلية ومشاكلها الخارجية . وعز على إنجلترا — وهى سيدة البحار وأم الاستعمار — أن تنافسها فرنسا فى مصر وهى مفتاحها إذا هى أرادت الإبقاء على أكبر جوهرة فى تاجها الامبراطورى الذى لا تغيب عنه الشمس

ولم يكد شهر يمضى على المحتلين حتى كانوا مضرب المثل فى الإجرام : سفكوا دماء الأبرياء ، وأعدموا زعماء الوطن رميا بالرصاص ، وملأوا السجون والمعتقلات بعلماء الدين ، فما وقروا شيبتهم ، ولا رحموا ضعفهم ، ومضوا بعد ذلك إلى المدن والقرى ينهبون ويسلبون ، وهتكوا الأعراض فى غير رحمة ، وانتهكوا حرمات بيوت الله والناس ، وتجردوا تماما من العاطفة الإنسانية أو ما يشبهها ، وتفننوا فى التنكيل بالشعب من كل لون . فأحرقوا الدور بعد انتهاب ما فيها ، وأشعلوا النيران فى محاصيل الفلاحين ، وبتروا أقواتهم واستاقوا مواشيهم ، وأثقلوا كواهلهم بالضرائب والغرامات والقروض ، فلم ير المواطنون بدا من الهجرة على غير هدى تاركين ديارهم خرابا يبابا ليس بها ديار ولا نافخ نار . وأما الذين لم يهاجروا فقد أرغمتهم السلطة الغاشمة على دفع الغرامة عنهم وعن جيرانهم المهاجرين

وفى أول أغسطس أوقع الأسطول الإنجليزى بالأسطول الفرنسى هزيمة منكرة فى مياه أبو قير ، وعلى أثرها غير نابليون سياسته العنيفة فأقام الحفلات بمناسبة المولد النبوى تملقا للعاطفة الدينية عند المسلمين وهم السواد الأعظم ، ومع ذلك فإنه ما وجد منهم غير الإعراض التام . حتى إذا جاء يوم ٢٢ سبتمبر وحلت الذكرى الأولى لعيد الجمهورية الفرنسية ، دعا نابليون علماء مصر وأعيانها إلى حفل كبير بالأزبكية توسطه عمود ضخم يرمز إلى شجرة الحرية التى يزعمون أن الثورة الفرنسية قد تمخضت عنها ، وما رأى المصريون فيها إلا رمزا على الاستعباد فسموها « خازوق الاحتلال »

اغتاظ نابليون من هذا الموقف السلبى ؛ وأسرها فى نفسه وعاودته غريزة الذئب الغادر ، فقسا ليزدجروا ، وزاد تنكيلا ليرجعوا ، وأصدر بذلك أوامره المشددة إلى حكام الأقاليم ، كتب إلى قومندان المنوفية يقول « يجب أن تعاملوا الترك (الأهالى) بمنتهى القسوة ، وإنى هنا (فى القاهرة) أقتل كل يوم ثلاثة وآمر بأن يطاف برءوسهم فى شوارع القاهرة . وهذه هى الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء الناس ، وعليكم أن توجهوا عنايتكم لتجريد الشعب قاطبة من السلاح »

وكتب إلى الجنرال مينو قومندان رشيد بأنه يأمر بقتل

خمسة أو ستة يوميا ثم يقول له « لقد كنا نتفادى التعرض لهم حتى نزيل عن سمعتنا وصمة الإرهاب تلك التهمة التي كانت تسبقنا إلى أذهان الناس » وصدق المثل : رمتني بدائها وانسلت، ولكن هيهات هيهات أن ينفذ شعاع من رحمة إلى قلوب المتوحشين الذين جاءوا من أوربا الجائعة ليشبعوا جوعهم من دماء الوادعين في بلادهم

وإذ ذاك كانت « لجنة الثورة » تنعقد بالجامع الأزهر ، وقد استنفد العلماء والحكماء كل السبل لحقن الدماء واستتباب الأمن ؛ فكان لابد أن تنفجر مراجل الصدور بهذه المظالم الفادحة والمجازر البشرية

وفي ٢١ أكتوبر انطلقت الأنفاس المحبوسة ، واندفعت القاهرة اندفاع الصاعقة ، ولم يعد بالديار داع أو مجيب . وتجمعت ثورة القاهرة سخطا وحنقا على الغاصبين ، واغتيل القائد الفرنسي (ديبوى) واحتمى الثوار بالأزهر بعد أن أقاموا جميع الاستحكامات على المنافذ المؤدية إليه

وذهل الفرنسيون أمام هذه المنة المنصبة عليهم من كل جانب ، فأصدر الجنرال بون Bon أمره في ٢٣ أكتوبر « بهدم الجامع الأزهر ليلا إذا أمكن ، ورفع الحواجز والبوابات التي كانت تسد الشوارع »

وأطلق الفرنسيون مدافعهم الثقيلة على الثوار ، فكانت ضحايا المصريين أكثر من أربعة آلاف حسب تقدير الجنرال (بليار) . ولنترك للجبرتي مؤرخ العصر يصف لنا هذا المشهد الأليم إذ يقول « ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر ، وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها .. »

وفي هذه الثمرة يفتح نابليون صدره المريض لإحدى نوافذ قصر الألفي وما يلبث أن يعود إلى مكتبه فيصدر الأمر الكريم « بقطع رءوس جميع المسجونين الذين أخذوا ومعهم الأسلحة ، وعليكم إرسال الجثث في هذه الليلة إلى شاطىء النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة وإغراقها في النهر »

ولم يكن خافيا على فطنة العلماء أن المماليك يدا في تحريض الأهالي ضد الفرنسيين مما زاد النار اشتعالا ، فأذاعوا البيانات في الناس بغية التزام السكينة والتذرع بالصبر « فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد، وارجعوا إلى مالك الملك وخالق العباد؛ وذهب وفد العلماء إلى نابليون يتشفعون في جلاء خيوله عن الأزهر ، فأجابهم إلى طلبهم . ثم أحصى المحرضين على الثورة من العلماء فسرعان ما أتى القبض عليهم ، وبجلاء ما حوكموا سرا وأعدموا رميا بالرصاص . وضاعف الفرنسيون من تحصين القاهرة وإقامة المعاقل في أهم شوارعها استعدادا لكل ما عساه يجد من أحداث

ومن وسائل الاحتياطات التي اتخذها نابليون أن أرسل المحصلين لجباية الغرامات من الأهلين ، وهم الذين كادوا يهلكون جوعا وعريا بعد أن هام أكثرهم على وجوههم في القرى ، وبعد أن أصبحت البيوت لا عائل لها يدبر أمرها ، تلك البيوت التي اقتلع المهندسون الفرنسيون أبوابها وأبواب الحارات التي تضمها ونبشوا القبور ونقضوا البيوت ليتخذوا من الحجارة والأخشاب تحصينات للقلعة ، مما كان سببا قويا لاستفزاز الأهالي ، وانقضاضهم على كل من يلقونه في وجوههم فكانت الضحايا من المهندسين فوق الحصر

وسرت الثورة في كل مكان سريان النار في الهشيم حتى عمت الدلتا والصعيد . فاتسع الخرق على الراقع ، وضاق بونابرت ذرعا بهذا العدو الذي ما من صداقته بد ، والذي استعصى على الترويض ، والذي أنزل برجاله هذه الخسائر وهو الذي لا مدفع معه ولا رصاص

واعتزم نابليون أن يخضد شوكة المصريين ويزعزع يقينهم بالكفاح المرير في سبيل الحرية والاستقلال ، فأنفذ حملة الشام التي لم تأت بالثمرة المشتهاة ، فلا هو فتح الشام ولا هو أذل مصر

فاشتعلت الثورة من جديد فى الشرقية بينما كان جيشه يرتد مهزوما أمام عكا الحصينة ومعه الجرحى والقتلى ممن لا اعداد لهم

واضطربت الأحوال فى فرنسا حينذاك ، فاستدعت حكومة الدير كتوار قائد الحملة على مصر ، ولكن الأسطول الإنجليزى المتربص للفرنسيين فى البحر حال دون وصول الرسالة إلى مصر . ومع ذلك تمكن الماكر الداهية من الإفلات فغادر الإسكندرية فى ليلة ٢٣ أغسطس بعد أن أناب عنه كليبر وزوده بالتعليمات الكافية ، ومن أهمها « إن من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يضمن ثقة الشعب المصرى » ورأى نابليون قبل مغادرته مصر أن تركيا قد بدأت تحالف الإنجليز ضد فرنسا على حساب مصر ، ففوض كليبر فى عقد الصلح مع تركيا ولو كان ثمن ذلك جلاء الفرنسيين عن مصر نهائيا

أحاطت المشاكل بكليبر من كل جانب ، فالفرنسيون قد انهارت روحهم المعنوية ، وتفشت الأمراض فيهم ، وقضت الثورات على مهندسيهم، ونهب الثوار آلاتهم الفنية النادرة ، ولم يسلم القواد أنفسهم من الإصابات والجروح حتى نابليون نفسه ، ونقص الإيراد وضعف الإنتاج وتراكمت الإتاوات والغرامات وتربص الإنجليز والترك للفرنسيين على الشواطئ ، وقطع الحصار البحرى على الحملة الإرهابية كل سبيل ، وكتب المسيو بوسليج فى تقريره إلى حكومة الدير كتوار يقول « . . إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التى لا يمكن تذليلها والتى تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين . إنهم يمقتون حكم المماليك ، ويرهبون نير الآستانة ، ولا يحبون حكمنا ، ولكنهم لا يطيقون حكمنا ولا يصبرون عليه إلا بأمل التخلص منه »

وظل كليبر يماطل فى الجلاء كلما تغلب على المحاولات البحرية العثمانية التى دأبت على مناوشته على شواطئ مصر ، فلما تمت معاهدة العريش المعروفة فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ بين فرنسا وتركيا قبل القائد الفرنسى الجلاء عن مصر رغبة منه على حد قوله فى «وضع حد لسفك الدماء ، وإنهاء النزاع القائم بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى »

وفى غضون الأشهر الثلاثة المقررة للجلاء ، نزلت القوات التركية تدريجيا بالأراضى المصرية وأمعنت فى تصرفات غاشمة من النهب والسلب والإرهاب وابتزاز الأموال بحجة الحاجة إلى مصاريف إمداد الفرنسيين ، فجمعوا الغلال ، واحتكروا المؤونة وشاركوا المواطنين فى الحرف ونافسوهم فى أرزاقهم مما أثار السخط العام على الأتراك والفرنسيين من قبلهم

وتأججت نيران الثورة من جديد لعدم اعتراف انجلترا بمعاهدة العريش تلك، وألبت المصريين على كليبر، فلم يجد بدا من التفريق بين فلول المماليك وبين المصريين من جهة وبين هؤلاء وبين العثمانيين من جهة أخرى ، فاتفق مع مراد بك على أن يطلق يده فى الصعيد نظير شروط دفاعية وأموال وغلال . فلما شبت ثورة القاهرة فى ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ أشار مراد بك على كليبر بإضرام النار فى العاصمة

وبعد شهر من هذا التاريخ استطاع كليبر أن يخمد الثورة ، ويطارد العثمانيين ، فوطد مركزه ، وأبعد من حسابه فكرة الجلاء . فلما فاوضه الانجليز والعثمانيون فى تنفيذ معاهدة العريش أبى ولج فى الطغيان ، حتى لقى حتفه بطعنة من خنجر سليمان الحلبى فى ١٤ يونيو وخلفه مينو الذى ورث عن سلفه أفدح الأعباء التى ينوء بحملها قائد متخاذل مثل مينو

أتقن مينو دوره الاستعمارى أيما إتقان ، فأعلن إسلامه وتزوج أرملة مسلمة من رشيد، وخالط الناس فى المساجد والمحافل، وأظهر الورع حتى صلى معهم التراويح، وتظاهر بمقته لكليبر حتى انه سمى ابنه باسم قاتل خصمه ، ولكنه ما لبث أن قلب للمصريين ظهر المجن ، وبرح خفاؤه ، حين اتهم الأزهر بتدبير اغتيال سلفه فأمر بتفتيشه وإرهاب علمائه ، وحاول أن يقف على شئ يدل على ما للأزهر من يد فى مؤامرة اغتيال كليبر ، ولكن دون طائل ، واقترح العلماء غلق الأزهر بدلا من أن تشن عليه الحملات الارهابية وحقنا لدماء المواطنين ، وإبراء لذممهم من دم كليبر

ومع ذلك ظل مينو سادرا فى غلوائه وغطرسته ، فلم يكف من سياسة سابقه . ومما زاد فى تعزيز مركزه تلك المدة التى

أنفذها إليه نابليون من فرنسا ، واستطاع أن يعبرها فأفلتت من الرقابة الانجليزية المنبثة في أرجاء البحر . غير أن الأمل لم يطل مداه حينما ترادفت قوات الانجليز والأتراك على مصر عند كانوب في الأسبوع الأخير من مارس ، وسقطت المدن المصرية صرعى احتلال جديد بينما كان الطاعون لا يزال يفتك بالمواطنين والأجانب فتكا ذريعا

نكص الفرنسيون على أعقابهم إلى القاهرة وطلبوا المدد من حليفهم مراد بك فعاجله الطاعون في سوهاج وهو في الطريق إليهم ، فأدركوا حرج موقفهم ، واضطروا لمفاوضة أصحاب هذه الغارة — وهم على أبواب القاهرة — في جلاء الفرنسيين أنفسهم، وأتى ذلك هوى . وفعلا عقد بليار اتفاقيـة الجلاء في ٢٧ يونيو دون علم مينو ، وأفرج عن المعتقلين في القلعـة من العثمانيين والمصريين . ولم تستطع المعدات الجديدة أن تصل إلى مصر فعادت أدراجها إلى طولون . وكادت تنتهي الخمسون يوما المحددة للجلاء برا وبحرا ، ولكن الفرنسيين أخذوا يماطلون حتى حاصرهم الانجليز حصارا كاد يودى بهم ، فعقد مينو مجلسا عسكريا من رجاله ، فأجمعوا الرأى على الجلاء

وهنـا أملى الانجليز شروطا أقسى من ذى قبل حتى لقد أوجبت على العلماء الفرنسيين أن يسلموا بحوثهم وأدواتهم وحتمت عليهم هذه الشروط أن يتم الجلاء في مدى عشرة أيام ، وأن يسلموا سفنهم بما عليها من عتاد ، ومن عليها من جنود . وبدأ الفرنسيون يسلمون القلاع والذخائر في ٢ سبتمبر ، غير أن العلماء تذمروا لحرمانهم من ثمرات فرائحهم ، وفاوضوا هتشنسون في ذلك فأبى عليهم حمل الآثار المصرية معهم ، وسمح لهم بما دون ذلك

وفي هذه الأثناء كان نابليون قد انتهى من مفاوضاته مع انجلترا بما يسمى « مقدمات لندن » في أول أكتوبر سنة ١٨٠١ وبمقتضاها يكون الاتفاق على جلاء الطرفين معا عن مصر

ولم تكد شمس يوم ١٨ أكتوبر تغرب حتى كانت قوات الاحتلال الفرنسي — وعدتها وقتئذ ثلاثة عشر ألفا — قد أخذت طريقها في البحر تجرر أذيال الخيبة ، وفي مؤخرتها عبد الله جاك مينو . وبذلك اليوم انطوت صفحة ثقيلة من تاريخ مصر لطخها الاستعمار والاستغلال بالظلم والارهاب . وأنقل المحتلون فيها كاهل مصر بالسخط والتذمر على أوربا الغادرة

وظن الانجليز أن الجو قد خلا لهم فأفسحوا صدرهم للماليك ليضربوا بهم الأتراك عن يمين والمصريين عن شمال . وظلوا يتلكأون في الجلاء حتى استعجلهم نابليون فتركوا البلاد لأهلها في ١٦ مارس سنة ١٨٠٣ ، ومعهم صنيعتهم محمد بك الألفي ، وبين يديه البقية الباقية مما نهبه من الصعيد، وقد طوى جوانحه على أمل أن يعيده السادة الانجليز قريبا وقريبا جدا ليكون ملك مصر المنتظر

وهكذا قضت مصر هذه الحقبة من تاريخها تحت كابوس الاحتلال الفرنسي ذاقت في خلالها مرارة ما بعدها من مرارة . وحسبها أنها اعتمدت على إرادة شعبها الأبي الحر فواجهت الظلم المسلح وهى عزلاء من كل سلاح ، اللهم إلا الإيمان بالحق المغتصب ، والكفاح في سبيل الشرف الرفيع . ولم يعرف التاريخ أمة غير مصر تداعت عليها القوة الغاشمة مجتمعة فكافحتها جميعا في آن واحد غير معتمدة إلا على الإيمان والوحدة والمصابرة ، وبذلك قضت على إنجلترا وفرنسا وتركيا والمماليك والطاعون جميعا

وما كان المصريون لينسوا منذ اللحظة الأولى للاحتلال الفرنسي مبلغ ما تنطوى عليه عبارة نابليون في منشوره الأول من مغالطة وقحة إذ يقول إن « الديوان » المشكل إنما يقصد به « تدبير الأمور والنظر في راحة الرعية وإجراء الشريعة »

كما أنهم لم ينسوا كيف أن نابليون حرم العمال المصريين من العمل في المصانع التي شيدها في مصر في ظل الاحتلال حتى لا يطعموا لذة العيش ، وحتى لا يتعلموا صناعة جديدة تعود اقتصاديا على البلاد بالنفع العميم ، ولكنه الاحتلال وكفى

وحسب المصريين أنهم تعلموا منذ ١٥٠ سنة أن كفاح الشعوب إنما هو سبيل حريتها واستقلالها ، وأن « الطرق السلمية المشروعة » أصبحت غير ذات موضوع . وصدق نبي الجهاد « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا »

محمد محمود زيتون

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغاني

للأستاذ حمدي الحسيني

— ٢ —

أما جمال الدين فظل في كابل لم يمسه الأمير بسوء احتراما لشخصيته الكبيرة وعشيرته القوية مؤجلا الفتك به إلى فرصة مناسبة . فرأى جمال الدين أن يغادر البلاد، ويلحن عن دار القلى متحول . فعزم على الذهاب إلى الهند والنزول فيها على أحد أصدقائه التجار البسطاء . وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى على الحدود استقبالا فخما رسميا تستقبله به حكومة الهند وليس له من الصفة الرسمية ما يستوجب هذا الاستقبال العظيم فقال : مأرب والله لا حفاوة كريم . وأول سؤال ألقى على جمال الدين من الحكومة الهندية ما هو الزمن الذي تريد أن تقضيه في الهند ؟ قال لا أكثر من شهرين . قبلت الحكومة ذلك منه ولكنها أحاطته بجيش جرار من الجواسيس والعيون تحصي عليه أنفاسه وتعد عليه حركاته وسكناته؛ ولكن هذه المراقبة الشديدة الدقيقة لم تمنع الهنود من الاقبال عليه والاجتماع به والاستماع له فأصبح كعبة يحج إليها الهنود على اختلاف طبقاتهم وتباعد ديارهم، فضاقت الحكومة الهندية ذرعا وكشفت نقاب الحياء من وجهها وأرسلت لجمال الدين وهو في مجلس حافل برجالات الهند أحد رجالها ليبلغه بأن حالة البلاد لا تساعد على بقائه في الهند أكثر من المدة التي قضاها . فتأثر الهنود الحاضرون من هذا الأمر وأرادوا أن يحتجوا فكفهم جمال الدين عن هذا والتفت إلى رجل الحكومة فقال له : إن تخوف حكومة بريطانيا من زائر أعزل مثلي يسجل عليها وهن عزمها وضعف شوكتها وقلة عدلها وعدم أمنها في حكمها، وأنها في حقيقة حكمها لهذه الأقطار أضعف بكثير من شعوبها . ثم التفت إلى زائريه من الهنود وقال : يا أهل الهند وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين ذبابا لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى . ولو كنتم وأنتم مئات الملايين وقد مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخضتم البحر وأحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى لجررتموها إلى القعر وعدتم إلى وطنكم أحرارا . فما كاد يتم جمال الدين كلامه حتى أذرف الحاضرون الدموع فقال لهم حينذاك بصوت داو كالرعد : اعلموا أن البكاء للنساء . والسلطان محمود الغزنوي ما أتى إلى الهند باكيا بل أتى شاكيا السلاح . ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت في سبيل الاستقلال بثغر باسم : ثم نهض مسرعا إلى رجل الحكومة لكي يذهب معه حيث شاء فقال له : مهلا فالسفر غدا . فقال جمال الدين : إلى أين تريدون أن أذهب ؟ قال الرجل: إلى حيث تشاء بعد أن تبرح الهند . وفي الصباح سيرته الحكومة إلى السويس ومنها إلى مصر فمكث فيها نحوا من أربعين يوما تردد خلالها على الأزهر وتعرف إلى الصفوة المختارة من رجال العلم والثقافة ، فأحبهم وأحبوه وطلبوا منه أن يقرأ لهم شرح الأظهار فقرأ لهم جانبا منه في بيته . ثم سافر إلى الآستانة فالتقى بالصدر الأعظم علي باشا فعرف له الصدر فضله وأحله محلا لم يسبق لمثله أن حل فيه . وبعد ستة شهور من إقامته في الآستانة عين عضوا في مجلس المعارف فأدى حق النصح لتعميم التعليم بطرق لم يوافقه عليها رفقاؤه في المجلس ومنها ما أحفظ عليه قلب شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي لأنها كانت تمس شيئا من رزقه فأضمر له الشر حتى كلفه مدير كلية دار الفنون أن يلقي خطابا يحث به على الصناعات . فألقى خطابا ضافيا في هذا الموضوع فشبه المعيشة الإنسانية بالبدن وأن كل صناعة منزلة العضو من ذلك البدن ، أما روح ذلك البدن فهي إما النبوة أو الحكمة فاصطنع شيخ الإسلام الحاقد من هذا القول وسيلة للنيل من جمال الدين بحجة أن جمال الدين يزعم أن النبوة حرفة من الحرف ، فدافع جمال الدين عن نفسه وطلب محاكمة شيخ الإسلام على هذه الفرية ، ولكن الصدر الأعظم المعجب بجمال الدين من جهة والمسئول عن الحكومة من الجهة الأخرى رأى أن يغادر جمال

الدين الآستانة كحل لهذه المشكلة، فنادرها إلى مصر . فكانت فرصة سعيدة لمصر والعالم العربي والإسلامي قضى جمال الدين فيها ثماني سنين كان خلالها قطب رحا الحركة العلمية والأدبية ومحور دائرة السياسة العربية والإسلامية، ليس في مصر فحسب بل في العالمين العربي والإسلامي قاطبة . هبط جمال الدين مصر في عهد اسماعيل وعهد اسماعيل عهد التقى فيه النقيضان ، أفراح الأمارة وأتراح الشعب . واختلطت فيه رنات الضحك في قصور الأمراء بأنات الأسى والحزن في كل بيت من بيوت الشعب المصري وذلك بسبب ما كان عليه اسماعيل من التبذير في النفقات مما اضطره أن يقسو في فرض الضرائب على الشعب ويستدين فوق ذلك من الأجانب ما أثقل به كاهل الحكومة ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كان الجمود شاملا جميع نواحي الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، حكم مطلق في يد ضعيفة مرتعشة، وقوانين ضائع معها العدل ،وأنظمة مفقود في ظلها الخير . هال جمال الدين ما رأى وما سمع وهو الذي وقف حياته على محاربة الظلم والجهل ، وشق عليه أن تكون مصر وهي قلب العروبة والإسلام النابض مباءة لكل هذه الشرور التي تبيض وتفرخ فتطير إلى جميع البلاد العربية والإسلامية فتهددها بالخراب والدمار . فصمم وهو القوى الحازم على خوض المعركة ضد ذينك العدوين اللدودين الظلم والجهل . فجرد عليهما لسانا ذربا في مجالسه الخاصة وحلقات تدريسه العامة فالتف حوله شباب العرب من المصريين والسوريين والعراقيين والحجازيين وغيرهم ممن كانوا في مصر لطلب العلم ، فأفرغ السيد جمال الدين في نفوسهم ما في نفسه الكبيرة من قوة ، ومس أرواحهم بما في روحه العظيمة من حرارة وحماسة ، فداروا حوله مستمدين القوة والعون بعد الله منه ، وأخذوا يعملون في محاربة الظلم والجهل مع استاذهم الأكبر وأمامهم الأعظم فجردوا ألسنتهم وأقلامهم في حرب طاحنة تجاوبت أصداؤها أجواء الشرق والغرب وامتد لهيبها إلى أيدى الظالمين فأحرقتها وإلى عقول الجاهلين فصهرت عنها الجمود والجحود . ولكن كيف يكون كل هذا ولا يتحرك في القلوب المريضة حسد له ولا يتململ في النفوس الصغيرة حقد عليه؟ فاتخذ الحاسدون الحاقدون سبيلهم للطعن عليه والنيل منه . وبينما كان الرجل في هذه المعركة من البناء والهدم إذ بالخديو توفيق يتولى الحكم فيسر جمال الدين به لأنه كان من مؤيديه ومن الساعين لتأليف القلوب عليه ، وأنه شعر بأنه قد أصبح في هذا العهد أكثر قدرة على خدمة مصر من ذي قبل ، فاندفع في مقاومة الاستعمار الانكليزي وما يحوكه هذا الاستعمار من دسائس لمصر ، وأطلق ما في نفسه الكبيرة من قوة تأثيره على الأفراد والجماعات لدفعها في مقاومة الاستعمار ودسائسه وتحريك الشعب المصري للمطالبة بحقه في حكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . وقد جره هذا النشاط السياسي الجبار إلى الاصطدام بالمحفل الماسوني الاسكتلندي الذي كان منتسبا إليه وعازما على اتخاذه وسيلة لتحقيق أغراضه السياسية النبيلة ، فحمل على هذا المحفل حملة شعواء ندد فيها بما ينطوي عليه المحفل من الضعف والخور في خدمة الشعب المصري الخدمة التي تأخذ بيده إلى الحرية والسعادة . وعندما اعتقد بأن لا فائدة ترجى من اصلاح هذا المحفل انسحب منه وأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنسي ، فأقبل على هذا المحفل مئات من أصدقائه وتلامذته وهم النخبة الطيبة والفئة القوية المؤمنة في مصر . وأول ما صمم على عمله في محفله الجديد الدعوة لاصلاح جهاز الحكم كوسيلة لاعداد الشعب المصري ليحكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . فألف داخل المحفل عدة لجان لتحقيق هذه الاغراض والاتصال برجال الحكومة (النظار) ومطالبتهم بالاصلاح على اختلاف أنواعه بأسلوب حازم ولهجة قوية ترددت أصداؤها في قصر عابدين ، فاستزار الخديو جمال الدين ليراه بعينيه ويسمع عنه بأذنيه ، فكانت الزيارة . ورأى الخديو من شخصية جمال الدين الكبيرة ما بهره ومن دفاعه عن الشعب المصري وحقوقه ما أخافه ؛ فأمر بإخراجه من القطر المصري فذهب جمال الدين إلى السويس ليسافر منها إلى الهند فأتاه بعض مريديه من التجار يحملون مبلغا من المال عرضوه عليه فرفضه في اباء وشمم وقال لهم : أنتم إلى هذا المال أحوج ، والليث لا يعدم فريسة حيث ذهب

للكلام بقية

محمدى الحسينى

٢ - الاسلام فى أوربا الشرقية

فى أمسية الغزو المنغولى

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانوويكز
بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

ويثنى بارتولد ثناء عاطرا على الدور المهم الذى قامت به الصوفية الاسلامية فى الدعاية لمبادىء الاسلام العظيمة بين الأتراك فيقول : « إن الصوفيين الذين ذهبوا لنشر مبادىء الدين الاسلامى بين الأتراك فى سهول الاستبس ، قد لاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه أولئك الذين ذهبوا للمكان نفسه يبشرون بالأرثوذكسية المسيحية . ومع أن دعاة من الديانات الأخرى ، كالبوذية ، والمانكية ، والمسيحية ، قد جربوا القيام بدعايات واسعة قبل مجىء المسلمين ، إلا أن الدعاية الاسلامية قد لاقت نجاحا واسعا ، وخاصة بين الشعوب التى كانت قد عرفت الشىء الكثير عن الديانات الأخرى » (١) .

ويضيف المستشرق العظيم إلى ما سبق فى موضوع آخر من كتابه قوله : « وبسبب سيطرة الثقافة الاسلامية على تاريخ هذه الفترة ، فإن كل اتصال بين تعاليم الاسلام ، وتعاليم الديانات الأخرى : لم تنشأ عنه غير نتيجة واحدة ، هى امتداد ظل الاسلام والتمكين لنفسه فى آفاق جديدة . حتى فى الزمن الذى تسلط فيه القراقتيون (Qara-Qitâys) ، أولئك المتعصبون الذين كانت الثقافة الصينية عميقة الجذور وبعيدة الغور فى نفوسهم ، والذين حاربوا الاسلام ولم يعتنقوه ، أخذت النامة التى لديهم ضد هذا الدين تضعف كلما امتد ظلمهم على المسلمين ، وراح الاسلام يمكن لنفسه فى سلطانهم ونفوسهم ؛

(1) W. Bartold, Historie des Turcs d, Asie Centrale. Collection Imitation d, l' Islam. Paris, 194 s ,pp 57, 50

وهو وإن لم يكن انتشاره على نطاق واسع ، كما كان فى الفترة المنغولية ، إلا أن مجرد الانتشار بين أولئك المتعصبين ، يعتبر من معجزات هذا الدين (٢) »

رأى بارتولد حول إسلام الكبشاك :

يبدو لنا أن النتيجة المنطقية لآراء بارتولد عن قوة الأغراء العجيبة الكامنة فى مبادىء الدين الإسلامى ، والتى لعبت دورا هاما فى إسلام الأتراك ، يمكن أن نكون كما يأتى : إن اعتناق عدد لا يستهان به من الخزر لمبادئ الإسلام ، قد أبعد بالتدريج كل صلة لهم بالديانات الأخرى بعد خضوعهم للكبشاك ، ثم اندماج هؤلاء المسلمين مع الغزاة بعد ذلك قد كانت نتيجته المباشرة عزل المنطقة التى حول مصب الفولجا عن جميع الديانات الأخرى كالمسيحية والبوذية ، ما عدا الديانة الإسلامية . ووجد الإسلام نفسه فى هذه المنطقة دون منافس من ديانات أخرى مدة قرنين ، فكان هذا الوقت كافيا لصنع المعجزة فى نفوس هؤلاء الكبشاك الوثنيين (٣) الذين عرفوا بعض الشئ عن هذا الدين عن طريق صلاتهم السابقة مع الخوروزميين (Khoresm) . ومن تحصيل الحاصل أن يعتنق الكبشاك الإسلام فى مثل ظروف من هذا النوع . والتاريخ يعرف أمثلة كثيرة لشعوب رحل ، أخضعت لسلطانها شعوبا مستقرة أكثر حضارة منها ، ثم اعتنقت بعد ذلك ديانة المغلوبين

فنرى من ذلك أن بارتولد لا ينكر الدور المهم الذى لعبه الإسلام بين الخزر ، وهو يرى أنه لم يصبح الدين الذى يعتنقه معظم الناس (٤)

أما مصير الإسلام بعد سقوط هذه الدولة ، فقد مر عليه فى ذلك الكتاب مر الكرام ، ولم يفكر فيه . أما ما يتعلق بإسلام الكبشاك بصورة عامة، فيجد الإنسان فى كتابه المذكور الشئ الكثير من التناقض

(٢) المصدر نفسه من أوجه ١٠٢ ـ ١٠٣

(٣) لعل بارتولد قصد بقوله الشامانيين Shamanists . والشامانية ديانة قبائل سيبريا ، وهى ديانة وثنية تقوم على تعدد الآلهة وعلى الاعتقاد بأن الكهنة ينالون ما عند هذه الآلهة من جبروت وسلطان . والكلمة متولية

(٤) كتاب بارتولد السابق وجه ٥٣

وأول ذلك التناقض قوله : « إن قسما من الأوغاز (Oghuzes) (وهم أقوام من الترك سبقوا الكبشاك إلى أوربا الشرقية) الذين استقروا في مجرى نهر الفولجا الأسفل ، قد اعتنقوا الإسلام أثناء القرن العاشر (٥) » . وأكثر من ذلك ذهابه إلى أن الأتراك الذين استقروا ما بين خورزم والفولجا في هذه المدة قد اعتنقوا الإسلام أيضا ، ولكن ذلك الإسلام لم ينفذ إلى قلوبهم وإنما كان طلاء وزيفا ، وبقي عدد كبير منهم يمارس المعتقدات الشامانية (٦) . ولا شيء يثير الدهشة فيما ذهب إليه من سطحية إسلام هؤلاء الكبشاك ، لأن الشعوب التي تعتنق ديانة جديدة ولا سيما الرحل منها ، تظل بحكم العادة أقرب في معتقداتها إلى الديانة القديمة منها إلى الديانة الجديدة . وعلى سبيل المثال ، فقد كان ذلك ، كما هو معروف في التاريخ ، شأن قسم من القبائل الروسية حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، وربما بعد هذا التاريخ . ولكن الذي يثير الدهشة ، أن يجد المرء في نفس الوجه من كتاب بارتولد الذي نتحدث عنه زعمين متناقضين ؛ فهو يزعم من جهة « أن المنطقة الواسعة التي استقر فيها الكبشاك ، كانت في ذلك الوقت ، خارج منطقة النفوذ الاسلامي ، وفي القفقاس اشترك الكبشاك في القرن الثالث عشر الميلادي ، في الهجوم على البلاد الاسلامية » وبعد أسطر غير قليلة يقول : « والمصادر الاسلامية تدلنا بصورة لا تقبل الشك ، أن الكبشاك والقانجلوس Qangluis (من الشعوب التركية ولعلهم من أبناء عمومة الكبشاك) قد اعتنقوا الاسلام في القرن الثاني عشر عن طريق صلاتهم مع الخورزميين (٧) »

وفي صفحات سابقة من الكتاب نفسه يقول البروفسور بارتولد : « كان لا يزال في الشمال الغربي من آسيا عدد كبير من القبائل التركية الرحل ، الذين على الرغم من اتصالهم بالحضارة الاسلامية ، كانوا يحملون العداء للدين الاسلامي . ونجح الكبشاك في القرن الحادي عشر في توسيع مدى هجرتهم حتى وصلوا في تلك الهجرة إلى تخوم البلدان الاسلامية في الجنوب ، وأصبحوا جيران الخورزميين (٨)

كيف يمكن تعليل هذا التناقض ؟ :

ليس من اليسير علي ، ولا من المبهج لنفسي ، أن أخالف في الرأي علامة من طراز بارتولد النادر ، وأشعر وأنا أفعل ذلك بالشيء الكثير من عدم السرور . والذي يشفع لي في تلك المخالفة وتجرؤي على انتقاد آرائه ، أن النتائج التي يصل إليها علامة عظيم ، إذا لم تدعمها المصادر التي لا مفر من الاستناد إليها (كالتي نحن بصددها) ، فأن فقدان تلك المصادر ، يولد حالة تنحرف بالحقائق عن مجراها الصحيح ، وتدفع الآخرين إلى ذلك الطريق الممهد ، مهملين التعمق في دراسة المشاكل التي لا يعرف عنها إلا القليل

والذي أراه أن رأي بارتولد في هذا الأمر ، ينبغي أن يفسر كما يأتي : وقبل كل شيء ينبغي أن نعرف أولا ، أنه كان معنيا أشد العناية بتاريخ أواسط آسيا ، وحينما امتدت الحوادث إلى القسم الغربي من الفولجا ، لم يكن دقيقا في الإحاطة بها . وثانيا فيما يتصل بالقبائل الكبشاكية التي احتلت مملكة الخزر القديمة ، فيجب أن نفرق بين الجماعات الرحل وغير الرحل منهم . فإن أولئك الذين امتزجوا بالخزر واستقروا إلى جانبهم ، راحوا يعتنقون الإسلام بالتدريج . وأولئك الذين بقوا على عهدهم الأول من البداوة ، استمروا على وثنيتهم الأولى ، أو كان الإسلام عند الذين اعتنقوه منهم ، ليس غير طلاء خارجي لم ينفذ إلى مواطن الإيمان من نفوسهم

ومما يجعل طريقة إسلام الكبشاك غامضة نوعا ما ، أن المؤرخين من الروس لم يهتموا بهم كثيرا ولا قليلا . وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نذكر أن الأستاذ (ن . بارسوف N.Barsov) صاحب المؤلف الرائع « الجغرافيا التاريخية لروسيا القديمة » كان قد أشار منذ مدة طويلة إلى أن مؤرخي الروس كانوا يكرهون التحدث عن الإسلام أشد الكره ، وأنهم كثيرا ما كانوا — بدافع من بغضهم المتأصل للاسلام — يخلطون بين المسلمين والوثنيين (٩) . ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل الكبشاكية

(٥) بارتولد المصدر السابق وجه ٦٣
(٦) بارتولد المصدر السابق وجه ٦٥
(٧) كتاب بارتولد السابق صفحة ٩١

٨ — الكتاب نفسه الصفحات ٨٨ ٨٩
(9) N. Barsov, Sketches on the Russian historical Geography The Geography of the primary nestor's chronicle, 2nd edition Warsaw, 1885 pp. 6-7

التى اتصلت بالروس غالبا ما كانت تعتنق المذهب الأرثوذكسى . وهـذا الكلام يصدق فقط على الـكبشاك الرحل ، أما أولئك الذين سكنوا المجارى السفلى لنهر الفلجا فلا أعتقد أنهم اتصلوا أدنى اتصال بالروس

ومن حسن الحظ أن أجد تأييدا لمـا ذهبت إليه من مؤرخ روسى آخر يدعى ا . ياكوبوفسكى A. Yakubovsky فى كتابه من عصر هؤلاء البرابرة الذهبى نقتطف منـه ما يأتى : « إن الغالبية العظمى من الـكبشاك عاشت معيشة ارتحالية ، غير أن قسما منهم أخذ يستبدل بهذه الحياة الحياة الزراعية المستقرة تدريجيا (١٠) . « واستولى الـكبشاك على الممتلـكات الواسعة التى خلفتها المملـكة السابقة ، وكان الخزر إذ ذاك يحيون على ضفاف الفولجا حياة زراعية بحتة ، واعتاد هؤلاء الغزاة هـذه الحياة ، ولـكنهم راحوا يفقدون لغتهم وميزاتهم العنصرية . أما الـكبشاك الذين استقروا فى مجرى الفولجا الأسفل ، فقد احتفظوا بلغتهم وميزاتهم العنصرية ، على الرغم من احترافهم الزراعة ، وتحضرهم » (١١)

ويذكر ياكوبوفسكى أن غزو الـكبشاك ، لم يوقف التجارة بين حوض الفولجا الأسفل والأقطار الإسلامية ، تلك التجارة التى كانت منتعشة قبل مجيئهم . وبعد ذلك يمضى فى تأييد ماذهبت إليـه عن كيفية إسلام الـكبشاك حين يقول : « وفى نفس الوقت الذى كانت التجارة آتية من الشرق ، كان الإسلام يسير معها ، مخترقا مدن الفولجا شيئا فشيئا (١٢) . « وأن اعتناق سكان مدن الفولجا الإسلام ، وخاصة المراكز المهمة ، مثل بلغار Bulgar وإتل Itil (عاصمة مملـكة الخزر السابقة) ، كان نتيجة للأعمال التبشيرية التى قام بها التجار والصناع » (١٣)

وما أشرت إليـه فى هذا المقال من إسلام كبشاك حوض نهر الفولجا الأسفل ، يتفق وما جاء فى كتاب بارتولد عن إسلام برابرة العصر الذهبى . يقول بارتولد : « لقـد كان لثقافة العالم الإسلامى العـالمية فى ذلك الوقت أثر كبير على إسلام رؤساء الأقوام الذين كانت العقائد المسيحية متغلغلة بينهم ، أكثر من تغلغل الديانة الإسلامية بين الـكبشاك . أما الألانيين Alians (أو الأوسيتين اليوم Osseles) فقد كان يصفهم المؤرخون بأنهم مسيحيون . إلا أن ابن بطوطة الرحالة الإسلامى الشهير قابل فى سراى Saray (وهى عاصمة مملـكة البرابرة) ، وتقع فى مجرى الفولجا الأسفل ، قسما من الألينين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى »

ويصف بعـد ذلك بارتولد إسلام بيرك خان Berke شقيق باتوخان Batukhan (مؤسس عصر البرابرة الذهبى) . والذى حكم من ١٢٥٤ — ١٢٦٦ ، واشتهر بتعلقه الشديد بالدين الإسلامى ، يقول بارتولد : « ولم يكن الخان مسلما فحسب ، بل كانت زوجاته وأتباعه مسلمين أيضا . لقـد كان لـكل أمير ، ولـكل زوجة من زوجاته مؤذن وإمام خاص ، وكانت هنـالك مدارس لتعليم الصبيان القرآن الـكريم » (١٤)

ولقد تم عمل من هذا النوع فى مدى عشرين سنـة من استيلاء المغول على حوض نهر الفولجا الأسفل . ولم يكن مثل هذا العمل ممكنا ، لو لم يكن الإسلام منتشرا فى تلك الأماكن قبل مجئ هؤلاء الغزاة الوثنيين

غرفة التجارة : بغداد — علي محمد سرطاوى

10 — A: Yakubovsky, la horde d' or, Pairs, 1959, P, 22
11 — Ib, p 24
12 — A YakuboVsky p,24
13 — » » p 31
14 — V Bartold pp 137-138

٢ ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

يريد الدكتور بهذا الكلام أن الأمر بغمس الذبابة كلها يدل على أن الداء والشفاء موجودان فى الجسم كله لا فى الجناحين فقط، وإلا لزم أن يأمر بغمس الجناحين فقط، فنقول إن الأمر بغمس الذبابة كلها صحيح، ولكنه لم يأمر بذلك إلا لأجل أن يغمس الجناح الذى فيه الشفاء لأن الجناح الثانى والجسم منغمسان فى الشراب وهل من المعقول أن يأمر بغمس المغموس؟

كيف يمكن غمس الأجنحة وحدها حتى يأمر به الرسول؟ إن غمس الجناحين فقط لا يمكن إلا بصورة واحدة، وهى أن نلقى الذبابة على ظهرها، ونمسكها بالمنقاش من يديها ورجليها ثم نضمها بدقة وتأن على الشراب حتى ينغمس فيه جناحاها فقط دون سائر جسمها، ولا ريب أن هذا متعذر بالنسبة إلى سائر الناس، فكيف يأمر بغمس الأجنحة وحدها كما يقول الدكتور؟

ويقول فى عبارته المتقدمة: «مما يدل على أن الداء والشفاء فى الجناحين أمر اعتيادى لا يفيد التخصيص والأمر بغمسها يؤيد ذلك، وهل لأجل تطهير الشراب من الجراثيم وذلك بادخال البكتريوفاج من جسم الذبابة»

يريد الدكتور بعبارته هذه المضطربة أن يفهمنا أن الجناحين إنما ذكرا فى الحديث جريا على العادة، لأن العادة تقضى بوجود الجراثيم المضرة والنافعة فى الجناحين أيضا كما توجد فى جسم الذبابة؛ فعبارة الحديث لا تفيد تخصيص الجناحين بالجراثيم، بل جاء ذكرها اعتياديا. هذا هو مراد الدكتور من عبارته هذه فنقول:

قد تقدم مايفيد بطلان هذا، ولكنا نكرره لمزيد الايضاح. إن عبارة الحديث تنص على تخصيص أحد الجناحين بالداء، والآخر بالشفاء. وبيان ذلك أن الحديث أمر أولا بغمس الذبابة كلها ثم بين سبب الغمس وحكمته بقوله أن فى أحد الجناحين داء وفى الآخر شفاء، وبين أيضا أن الذباب عند وقوعه يتقى بالجناح الذى فيه الداء أى يقدم الجناح الذى فيه الداء فيكون منغمسا فى الشراب ويبقى الجناح الثانى الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس. فاذا غمس الذبابة كلها، انغمس الجناح الثانى الذى فيه الشفاء أيضاء وبذلك تندفع المضرة الحاصلة من انغماس الجناح الأول ولولا تخصيص أحد الجناحين بالشفاء والآخر بالداء لكان الأمر بغمس الذبابة عبثا لأن جسم الذبابة مع أحد جناحيها قد انغمس فى الشراب فلو كان الشفاء فى الجسم كله لم تبق حاجة إلى الأمر بالغمس

إن هذا المعنى فى عبارة الحديث واضح جلى يفهمه كل من سمع الحديث ولو كان أعجميا، ولكن الدكتور حفظه الله يقول إن عبارة الحديث لا تفيد التخصيص إنما جاء ذكر الجناحين اعتياديا أى جريا على العادة التى تقضى بوجود الجراثيم فى الجناحين كوجودها فى الجسم، مع أن العادة تقضى خلاف ذلك، لأن الجناحين يكونان بحكم العادة وبحكم الضرورة أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم لأنهما لا يباشران المواد التى تقع عليها الذبابة بل يكونان فى أعلى الذبابة بعيدين عنها

ولا شك أن أول شيء من الذبابة يباشر المواد التى تقع عليها هو يداها ورجلاها، ثم بطنها وصدرها، ثم سائر جسمها، ثم جناحاها إذا كانت المادة التى تقع عليها من السوائل، ولكن الحديث يقول إن طبيعة الذباب إذا وقع فى السوائل أن يقدم الجناح الذى فيه الداء ويؤخر الجناح الذى فيه الشفاء، فينغمس الأول ويبقى الآخر غير منغمس، فلذا أمر بغمس الذبابة كلها لكى ينغمس الجناح الذى فيه الشفاء أيضا

إن عبارة الحديث لا يقرب معناها عن فطانة الدكتور، ولكنه أخذ يتمحل فى التوجيه ويتعسف فى التفسير لكى يقربها من المعنى الذى يريده هو. إلا أنه رغم هذه التمحلات، بقى قلق الخاطر، غير مطمئن الضمير، لأنه يعلم أن الجناحين أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم، فاذا يعمل حتى يجعلها مقرا للجراثيم أكثر من سائر الأعضاء؟

والظاهر أنه فكر طويلا حتى وجد طريقا إلى حل هذا المشكل فقال: «وبما أن الذبابة تمسح دائما رجليها باجنحتها، كانت الأجنحة لذلك مقرا للبكتريوفاج وللجراثيم أكثر من غيرها من أعضاء الذبابة. فلله دره ما اقدره على قلب الحقيقة

بالكلام المجرد . يقول إن الذبابة تمسح رجليها بأجنحتها ، إن الباء في هذه العبارة مثلها في قولهم كتبت بالقلم أي هي للاستعانة ، فالممسوح الرجل . والماسح الذبابة ، والجناح هو آلة ، المسح والظاهر أن المسح يكون بظاهر الجناح لا ببطنه ، لأن الذبابة إذا خفضت جناحيها وألزمتهما إلى ما تحت رجليها ، كان ظاهر الجناح تحت الرجل بالطبع ، إذ لا تستطيع الذبابة في هذه الحالة أن تقلب جناحيها إلى حيث يكون باطنها إلى الأعلى ، وظاهرهما إلى الأسفل . ومهما يكن لجناح الذبابة على هذا أصبح منديلا لما تمسح به رجليها

إن الدكتور قد أثبت للذبابة بهذا القول طبيعة لا يعرفها الناس ، ولم يستند في إثباتها إلى قول علمي من أقوال علماء الحشرات الذين درسوا حياتها وعرفوا طباعها وأحوالها ، وقد تكلم هو في الفصل الخامس من رسالته عن خواص الذباب وطباعه ، فلم يذكر فيه شيئا من ذلك

لا يقال إن في عبارة الدكتور قلبا ، وإن أصلها هكذا : إن الذباب يمسح دائما أجنحته بأرجله ، لأنا نقول إن رجلي الذبابة وهما في اتجاههما إلى الأسفل معقوفتان إلى الأمام ، وليس في استطاعتها أن ترفع رجليها إلى ما فوق جناحيها فتمسحه بها ، ولا أن تخفض جناحيها إلى ما تحت رجليها فتمسحها به إذ ليس ذلك من طبيعة الذباب، فن المحال عادة وطبعا أن يمسح الذباب أجنحته بأرجله أو أرجله بأجنحته ، وإنما المعروف من طبيعة الذباب من قديم الزمان هو أنه يحك إحدى ذراعيه بالأخرى كما ذكره عنترة في معلقته ، ولم يشاهده أحد يحك إحدى رجليه بالأخرى ؛ ولا يحك بجناحيه رجليه ، وقد شاهدته أنا في بعض الأحيان يمسح وجهه بذراعيه ويمر بها على رأسه . فمن أين أخذ الدكتور هذا القول عن طبيعة الذباب وكيف تكون أجنحته مقرا للجراثيم أكثر من الأرجل والأيدي التي هي متصلة مباشرة بالمواد التي يقع عليها الذباب

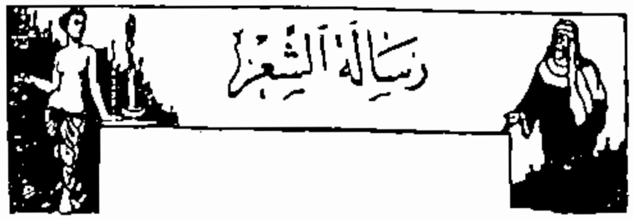
والمشهور من الذباب أنه ينقل الجراثيم بأرجله وبأيديه ، لا بأجنحته ، والدكتور نفسه قد ذكر ذلك في رسالته فقال في الصفحة (٤٤) : « وعلاوة على ذلك تنقل الذبابة الجراثيم برجليها ويديها المكسوة بالشعر » ثم قال « ومما يجدر بيانه هو أن قدمي الذبابة وكفيها تشبهان خف البعير ، عليهما شيء يشبه الشعر أو الوبر ، وهذه تفرز افرازات لزجة فتلتصق الجراثيم عليها وتستطيع الذبابة بهذه المادة اللزجة وبفضل هذا الخف ، أن تقف على السقوف والجدران بأي وضع شاءت »

وعليه فإذا كانت أيدي الذباب وأرجله كما يقول الدكتور تفرز مادة لزجة ؛ وعليها شيء يشبه الشعر أو الوبر ، كانت بلاريب مقرا للجراثيم أكثر من سائر أعضائها ، لذلك ، ولأنها أول ما يباشر الأقذار التي عليها الذباب فكيف تكون الأجنحة مقرا للجراثيم أكثر من أيديها وأرجلها ؟ — والآن ، هل البكتريوفاج موجود في الذباب دائما وأبدا ؟ وهل هو شاف لجميع الأمراض ؟

نريد أن نجيب على هذين السؤالين بما علمناه وفهمناه من كلام الدكتور في رسالته ، لأننا لسنا من أهل هذا الفن ، ورحم الله أمرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فلذا نرجو من القارىء أن يقرأ أولا ما كتبه الدكتور في هذا الباب خاصة في الفصل الحادي عشر من رسالته ثم ينظر فيما نقوله هنا ، ويحكم بما شاء

للكلام بقية

معروف الرصافي



صلاة جنازة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

هذى صلاة جنازة : الله أكبر   فتياننا قتلوا وهل يبق العمر
سبق المقدم منهمو والله أكبر   ومشى على آثار من سبق المؤخر
الله أكبر

الله أكبر ما الطغاة بعدرك   قتل الجميع . وهبهمو فالله أكبر
لن يخضع المصرى بعد لبغيهم   فليأخذوها يلقها والله أكبر
الله أكبر

وعزاؤنا أن العدى نكبوا بأكثر   ورجاؤنا أنا بإذن الله نثأر
شهداؤنا سدوا لنا ما ينبغى   لمجاهد والعمر فى قدر مقدر
الله أكبر

جيش من الأعداء دبر ثم قدر   واختار خطته التى تخزى المدبر
فرى العدو جنازة تسعى إلى   قبر ولولا أمنه منها تقهقر
والله أكبر

أمن المواقب فانبرى بهوى ويزأر   فانسل منا كل قسورة غضنفر
جعلوا العدو على الفرار مغادرا   قتلى ولكن بين ضباط وعسكر
والله أكبر

لم يدفنوا من شيعوه ميتا :   من قبله دفن العدى حيا تنمر
والموت يخفى نفسه حينا ويظهر   والموت يعلن نفسه وسط المعسكر
والله أكبر

بين الضحايا من بنى مصر فتى   دون البلوغ فعمره تسع وأشهر
شق الصفوف إلى العدو مقاتلا   فأصاب ضعف طوله فيهم وأكثر
والله أكبر

ترك النعوش حماتها وتدفعوا   كالسيل فى ثغرات جيشهم المظفر
فإذا جنود المعتدين تفرقوا   ومشيعو الموتى على النكبات أصبر
والله أكبر

وعجيب طفل رمى جلبابه   بالنفط وحى التو لا أمرا مدبر
ماذا تحاول يا (نبيل) فلم يجب   أيجيبنى من جسمه لهب تسعر!
الله أكبر

وتلقفت منه خيام عدونا   مثل الشرارة فى لظى نار تزمجر
لما غدا أعداؤنا متضرما   وغدت خيامهمو بمقبلهم تذكر
والله أكبر

يا رب لا تغفر ولا ترحم ولا   ترسل على الدنيا سوى اللهب المدمر
كاد الحليف حليفه فى عالم   معروفه هذا وفى المعروف منكر
الله أكبر

عبد اللطيف النشار

في موكب الشهداء ...

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

قلوب دهاها الحزن فهى تذوب   ودمع ، ولكن جمرة ولهيب
أرى النيل يسعى باكيا ملء جفنه   وللموج لطم موجع ونحيب
وتلك المروج الخضر تبدو كأنها   مواكب موتى فى البلاد تجوب
فلا الزهر بسام يميل صبابة   ولا الطير نشوان الجناح طروب
أعهى مالى أبصر الطير شاديا   ولكنه فى مسمعى نعيب
طوى الروض من أحزانه ثوب عرسه
وران على وجه النهار شحوب
سل الوادى الولهان ماذا أصابه   يرد أسيفا والدموع تجيب :
بواكير من زهر الشباب تساقطت   وصوح دوح للبلاد رطيب
أسود سموا نحو الخلود بهمة   لها بين أنياب الحتوف وثوب
مضوا شهبا تحيى الأمانى بنورها   وتهوى إلى قلب المدا فتصيب
بأى ذنوب قد أراقوا دماءهم   وليس لهم إلا الفداء ذنوب
لئن كان حب النيل ذنبا يرونه   فلسنا ورب النيل منه نتوب
ألا إن شعبا قد أناموه قد صحا   ولا بد من بعد المنام هبوب

محمد على جمعة الشايب

الينابيع الجديدة

للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

أتخمت قيثارى بهذا الحب ، هذا الضعف ، هذى اللعنة السوداء
واليوم يوم المحرقين دماءهم   فى مذبح الحرية الحمراء
لا تلهمينيه غناء . . مائما   متناوحا متهاوت الأصداء
لكن أعاصيرا ممردة الذرى   وحرائقا ممتدة الأرجاء
فالويل كل الويل للشادين بين مآتم الأموات والأحياء
الراقصين على الطريق ، مشيدا بجماجم التعساء والبؤساء
والويل للمتوشحين بنورهم   وربيعهم فى ظلمة الفقراء
الباسمين إلى الحياة وحولهم   أمواج نهر الأدمع الخرساء
والويل للمتوسدين صباحهم   ومساءهم فى حيرة الضعفاء
الراقدين على الحرير وغيرهم   متوسدون سواعد الظلماء
لا تلهمينيه غنـاء مائما   متناوحا متهاوت الأصداء
فالويل للفن الذى لم يستجب   لمواجع البشرية الصفراء
والويل للنغم الذى لم يحترق   ليعود عاصفة من الأنواء
والويل للنهر الوديع المستحم بضعفه   من قوة الدأماء
والويل لسفح الجبال بالدجى   من سخريات القمة الشماء
والويل للميت الذى لم ينتفض . . فى قبره ليعود فى الأحياء

° ° °

يا أيها الشعب العظيم وإنما   أدعو ألوهة روحك المتمرد
القيد قيدك أنت نار حديده   لاصنع جبار ولا مستعبد
فإذا تشاء سحقته فتلقفت   ذراته ريح العتاد الأسود
وإذا تشاء فصمت أفواه الردى   برمائم المعبود والمتعبد
فاهتف بأشواق الحياة تجبك أصوات الحياة بقلبها المتوقد
وازحف على ظلمات يومك ينبثق   نور الغد القدسى من قبل الغد
تلك النباتات الدنسة التى   كم مانقتك بشوكها المتجرد
لست الذى يثنيه شوك جذورها   لا كنت إن لم تقتلعها باليد
أنا لن أنوح عليك لن أبكى على   نيرانك المتفرقات الهمد
لا زلت ألمح فى رمادك قوة   إن تنطلق تطلق صباح المعتدى
وأحس فى صمتى سكونك رعدة   يا ويح أحلامى إذا لم ترعد

• • •

يا رعشة الأشواق أشواق إلى   جيشان أرضك بالدم المتسعر
ولوائك المخضوب يخفق شامخا   كجناح نسر فى الأصائل مبحر
والأوجه السمراء فى جبهاتها   وعيونها إعاشة التجبر
والأذرع المتجمدات وقد تمرقها انتقام المارد المتحرر
حقل من النيران والدم صارخ   بزوال مجد الغاصب المستعمر
وبناء إنسانية لم تحتقر   ضعف الضعيف ولا أنين المعسر
لم تبن جنتها الجميلة بين آلام الأجير وضحكة المتاجر
لم تبتدع يوما رسوم سقوفها   فرشاة مصدور ولا متكدر
لم تجر أنهرها وخلف سياجها   تفنى الألوف من الهجير الأكبر
لم تزه كرمتها ويحن نخيلها   والجوع يعصف بالجسوم الضمر
فهناك ياشعبى ستنبت فرحتى   فى مهجتى وتعود رقة مزهرى
ويعود بلبلك الجميل معطرا   بغنائه قلب الربيع الأخضر

محمد مفتاح الفيتورى

جـــــارتى

للأستاذ عثمان حلمى

كان لى جارة يلوث أذاها   ساءنى صبحها وساء مساها
تسبق الطير فى الصباح بصوت   صاخب يسلب العيون كراها
صخب ما له حدود فقد قصـ   ـر فيه أضرابها عن مداها
كل يوم لها عراك جديد   ورضاء وما يطول رضاها
وإذا ما انتهى العراك فما تسـ   ـمع إلا عويلها وبكاها
وعلا صوتها على كل مذيا   ع ودوى فما سمعت سواها
كلبها وابنها إذا هى صاحت   صيحة الشر يحكيان صداها
ولها طفلة أجارك منها الا   ه إن أحملت على الصبح فاها
ولها خادم لها كل يوم   وقعة بالجوار من جراها
وكأن بديكها حينما يصـ   ـرخ يحكى من النداء نداها
كل تلك الأصوات مجتمعات   توقر النفس أو تزيد شقاها



مسرحية (٧٠ سنة)

للأستاذ علي متولي صلاح

بدأ السباق يدب بين الفرقتين اللتين تنهضان بفن التمثيل فى مصر ، وأعنى بهما (فرقة المسرح المصرى الحديث) و (الفرقة المصرية) فى تقديم المسرحيات التى تتجاوب مع الموقف الوطنى الجليل الرائع الذى تقفه البلاد هذه الأيام . وتتفق مع مايجرى فى النفوس ويسرى فى العروق من لهفة حارة تستبد بالمصريين إلى التحرير والجلاء الناجز ووحدة الوادى بلا إبطال ولا إمهال

أخذت الفرقتان تتسابقان فى هذا ، وأغلب الظن أن ذلك التسابق سيستمر سجالا بينهما حتى تنجلي الغمة ويتحقق الرجاء ، فلن تستطيع النفوس التى تتقد بالوطنية وتغتلى بها أن تجد فضلة منها لقبول شيء دون ذلك ! ... وكان فضل السبق فى هذا المضمار للفرقة الأولى دون شك ، فقد تركت ما كانت أعدته للموسم من مسرحيات أخرى وأسرعت تلتمس ما يؤدى المعانى الوطنية التى فارت بها مشاعر الناس وملكت عليهم أمرهم وسواء أوفقت فى ذلك أم جانبها التوفيق فلن يسلبها هذا فضل السابقين الأولين من المجاهدين ! ... قدمت — فيما قدمته — مسرحية تصور حادثة من حوادث التاريخ المصرى الحديث ، فقدمت الفرقة الثانية تصويرا للتاريخ المصرى الحديث كله ، وكأنها فى ذلك تقول للفرقة الأولى : إن كنت ربحا فقد لاقيت إعصارا !!

ونسيت الفرقة المصرية أن الأمر فى المسرح ليس أمر زحمة فى الحوادث ، وليس أمر قدرة على حشد أكبر عدد منها ، فذلك مطلب يسير هين ، وهو — فوق ذلك — ليس من الفن المسرحى فى شيء ! فرب لمحة خاطفة يصورها المسرح فيحسن تصويرها ، أدل على المعنى وأبعد فى النفوس أثرا من احتشاد الحوادث وتلاقيها وكثرتها !

قدمت هذه الفرقة مسرحية (٧٠ سنة) فسردت فيها تاريخ الحركة الوطنية المصرية منذ سنة ١٨٨٢ من التاريخ الميلادى حتى يومنا هذا سردا متصلا متلاحقا انبهرت معه أنفاس المؤلف وتكاثرت عليه الحوادث وتزاحمت من حوله الشخصيات ، وكان هو حريصا على أن يعرض الحوادث والأشخاص جميعا دون سهو أو نسيان — كما يقولون فى عالم التجارة — فأصبح لايدرى ماذا يأخذ وماذا يدع . واستعان الله على هذا كله ، ومزج المسرح بالسينما وبالكلام الطويل فى الميكروفون ، فجاءت المسرحية مسخا شائها عجيبا . وأنا أستغفر الله من تسميتها باسم (مسرحية) فلا أجد ما أسميها به غير ذلك مع علمى بأن ليس لها من هذا الاسم نصيب

نعم . إنه ليس من الفن المسرحى فى شيء أن تساق الحوادث سردا كأنها معلى تحث بالسياط فلا يربط بينها رابط ، ولا توحدها حادثة أساسية متصلة تجذب انتباه المشاهد ، وتؤجج شوقه إلى نهايتها وفك عقدتها ، مما تحتمه شرائط المسرحية الصحيحة كما عرفت منذ التاريخ القديم ... وليس من الفن المسرحى فى شيء أن يرى المشاهد حوادث التاريخ تترى كأنها

ولقد حرت مثلما حار جيرا ... نى فيها وكلهم من عداها
إن ضحكنا من حادث أزعجتنا ... بطريف فى أى كرب تناهى
وظللنا ندعو الذى خلق الخلـ ... ـق جميعا أن لا يطيل بقاها
بيديه الخلاص إن شاء منها ... وإذا شاء ردها لهداها
وتفقدت جارتى ذات يوم ... وسألت الجيران ماذا عراها
فاصطخابات جارتى لا تدوى ... لا ولا رجع الفضاء صداها
وتساءلت ما دهاها فلم ألـ ... ـق مجيبا يجيبنى ما دهاها
غير أنى أسفت لما رأت عيـ ... ـنى فى دارها عجوزا سواها
فهى قد سافرت إلى غير رجعى ... غير ما يستعاد من ذكراها
وأكيد فراقها وأكيد ... أننى قد حرمت من ضوضاها
وكذا ساءنى نواها كأن الـ ... ـنفس من بعدها يعز عزاها
عادة المرء فى الحقيقة جزء ... منه حتى فى الشر لا ينساها

عثمان حلمى

موكب من مواكب الاستعراض لا أكثر ولا أقل ! ويراها الشاهد مرة على صورة مسرحية متحركة ينهض بها ممثلون يتحركون على الخشبة ويلعبون أدوارهم أمام الناس ، ثم مرة ثانية على شريط سينمائى يعرض أمام أنظارهم لتكمل به الحوادث، ثم مرة ثالثة يسمع الميكرفون وهو يتمم ما عجز التمثيل والسينما عن أن ينهضا به من الحوادث التى ينوء بها العصبة أولو القوة ، فيصل ما يوشك أن ينقطع على الشاهد من الحوادث المتلاحقة !!

ونسى المؤلف الفاضل أن لكل واحد من هذه العناصر الثلاثة غرضا خاصا به واتجاها يتفرد به دون العنصرين الآخرين، ويختلف فيه عنهما اختلافا بينا ، وأن الجمع بين هذه العناصر الثلاثة فى صعيد واحد إنما هو استغاثة واستعانة من المسرحية الضعيفة التى عجزت عن القيام بمهمتها منفردة مستقلة معتمدة على نفسها فأخذت تطلب النجدة من هنا وهناك !!

ولعل المؤلف الفاضل يعلم أن محاولات قامت فى أوربا للجمع بين الفن المسرحى والفن السينمائى معا على خشبة المسرح تمكينا له من إيراد عدد أكبر وأضخم من المناظر، وتقريبا له من القدرة الكبيرة التى تتمتع بها السينما دونه ، وأن تحويرات وتعديلات أدخلت على تركيب المسارح لتمكينها من ذلك أيضا ، ولكن ذلك جميعه باء بالفشل وخلص المسرح للتركيز فى الأسلوب والحوار ، وللايحاء والخيال البديع ، وللاشارة دون الإفصاح الواضح. وخلص المسرح إلى قيم ومعالم ليس للسينما — وهى واقعية النزعة — أن تجاريه فيها . وتفرد المسرح بالإجمال وترك الحواشى وما إلى ذلك مما يجعل كلا من الفن المسرحى والفن السينمائى يختلفان فيما بينهما تمام الاختلاف ، وأصبح الرأى السائد الآن فى أحدث المذاهب أن الجمع بينهما إنما هو جمع بين الأضداد والمتناقضات ..

ولا أدرى ما الذى تهدف إليه هذه المسرحية وهى لم تزد على سرد التاريخ سردا خاليا من أى أثر للفن أو أى تجنيح للواقع ؟؟ اللهم إن كانت تهدف إلى مجرد ذكر التاريخ الواقع المبذول بين أيدى الناس فى الكتب المدرسية التى يقرؤها التلاميذ ما يربى عليها وما يفوقها دقة وأمانة وتفصيلا ! وإن كانت تهدف إلى استثارة الناس بعرض التاريخ الذى يعرفونه عليهم فإن ملاك الأمر فى ذلك للفن الذى قدمنا أنها خلت منه خلوا تاما ! وإن كانت تهدف إلى أن تشارك فى تقديم ما يتفق والشعور الوطنى الحاضر على أية صورة — فيجب أن تعلم أن عليها أن تفعل ذلك فى حدود المراسم المسرحية والفن المسرحى الذى تتسم به وتقوم عليه ..

هذا — وأحب أن أهمس فى أذن المؤلف الفاضل بهذه الملاحظات اليسيرة ابتغاء أن يتدبرها : —

١ — لماذا أغرم المؤلف بإبراز وفاة الكثير من أبطال المسرحية أمام الناس حتى جعل من المسرحية جنازات متلاحقة مع أن وفاتهم جميعا لم تكن تحمل معنى خاصا ، فكلهم مات على فراشه وكان فى حياتهم الكثيرة من المواقف الوطنية ، اللهم إلا إذا كان المؤلف قد أراد بإبراز موت السابق ترشيحا لحياة اللاحق، وهكذا دواليك ! فالموت إذن — فى نظر المؤلف — هو الخيط ورمز الرابطة التى تربط أجزاء المسرحية ! ؟

٢ — كيف يستسيغ المؤلف أن يبعث الوطنية فى نفس ابنة الباشا المقيمة معه فى منفاه بإهدائها كتابا عن (جان درك) ثم يزيد فيشرح قصتها ، وهى — كما يرى القارىء — استعارة غير مستحسنة من البطولة الأجنبية ؟ وهل خلا التاريخ المصرى أو التاريخ العربى من كل صور البطولة فى النساء والرجال جميعا حتى يضطر المؤلف إلى استيراد بطولة من الخارج ؟؟

٣ — كيف يتفق أن يخطىء محمود سامى البارودى — وهو أحد أعلام — فى نطق أبيات قام هو بتأليفها ! فيقول مثلا (أجنى وأجتنب) ببناء الفعل الثانى للمعلوم والصواب أن ينطقه مبنيا للمجهول ؟ ويقول (النشب) بكسر الشين والصواب بفتحها وتلك أخطاء لا تجوز على التلاميذ المبتدئين بله محمود سامى البارودى !!

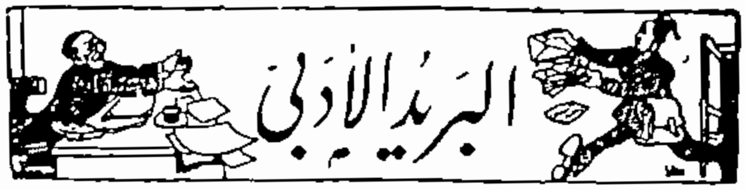
٤ — كيف يتفق أن يرشح مصطفى كامل — وهو يحتضر — محمد فريد للزعامة بعده ويوصى إخوانه وزملاءه بذلك علانية ، ثم يستدعيه ويجلسه أمامه مجلس التلميذ ويلقى عليه سيلا من الأسئلة عن وطنيته وهدفه ومبدئه وشعاره وعما هو الاحتلال ! وما هو الاستقلال ! وغير ذلك من الأسئلة التى لا نراها تلقى إلا على تلاميذ المدارس حتى حسبناه سيستطرد إلى سؤاله عن اسمه

واسم أبيه وسنه وعنوانه وما إلى ذلك ! وهي إلى ذلك أسئلة وأجوبة لا تنطوي على معنى غير مفهوم لعامة الناس ولا تزيد على معلوماتهم العادية ، وهي إلى ذلك أيضا تلقى على زعيم أعلن ترشيحه للزعامة !

٥ — لماذا — وقد كان كل غرض المسرحية استيعاب الحوادث جميعها — أقول لماذا أغفلت الكثير من الحوادث الكبيرة كيوم ١٣ نوفمبر مثلا وهو الشرارة الكبرى التي انبعثت عنها نيران الجهاد والكفاح ؟ وأغفلت الكثير من الزعماء الذين كان لهم تأثير كبير في مجرى الحوادث بمصر مثل : عدلي يكن وعبد الخالق ثروت ومحمد محمود وإسماعيل صدقي وعبد العزيز فهمي وعلى شعراوي وسواهم ؟ اللهم إلا إذا أريد بذلك مما لأة الحكومة القائمة وهو أمر إن جاز في عالم السياسة فلا يجوز في عالم الفن

٦ — يعلم المؤلف أن المسرح للناس جميعا فكيف يجيز استعمال اللغة الإنجليزية في بعض المواقف وهو يدري أن بعض الناس يجهلها ؟ وإذا كنا نعيب اللغة العربية نفسها على المسرح إذا جنحت إلى المبالغة في الفصاحة والجزالة لأن الشاهد العادي يعيا بفهمها فكيف نسمح للغة الانجليزية بالظهور فوق المسرح ؟ إلا إذا كان ذلك تمشيا مع الواقعية المسرفة التي التزمها المؤلف في المسرحية جميعها ، ناسيا أن المسرح ليس « الواقع » ولكنه كما قال الأستاذ زكي طليمات بحق في كلمته الجامعة « استثارة الواقع » !!

علي متولي صلاح



أخوة الأم لا يرثون :

نشرت منبر الشرق بالعدد ٦٧٥ في باب الافتاء فتوى لصاحب الفضيلة المفتي السابق رداً على سؤال تضمنته « أن متوفاة تركت بعدها أما وبنتا وأختا لأب وأخوة لأم ذكورا وأناثا فما نصيب كل واحد منهم » فأجاب فضيلته

« إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال فللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث، وكذا جمع من الأخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب السدس تكملة للثلثين ، وللأخوة للأم الثلث يشتركون فيه بالسوية . فالمسألة من ستة وعالت إلى سبعة. فتقسم التركة سبعة أسهم للأم سهم وللبنت ثلاثة وللاخت لأب سهم وللأخوة للأم سهمان »

وهذا خطأ في التوريث وصحته في هذه المسألة على النحو الآتي

للأم السدس وللبنت النصف وللأخت للأب الباقي تعصيبا وهو الثلث، ولا شيء للاخوة من الأم لأنهم لا يرثون مع الفرع الوارث مطلقا ؛ فقد جاء في كتاب الفرائض من الجزء الخامس لابن عابدين « ويسقط بنو الأخياف وهم الإخوة والأخوات لأم بالولد وولد الابن وإن سفل ، وبالأب والجد بالاجماع » وزاد صاحب ـ والمختار عند قول المصنف بالولد وولد الابن : « ولو أنثى فيسقطون بستة بالابن والبنت وابن الابن وبنت الابن والأب والجد ، ويجمعهم كذلك الفرع الوارث والأصول الذكور» وفي شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧ « وأما لأولاد الأم فأحوال ثلاث : السدس للواحد والثلث للاثنين فصاعدا ؛ ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل ، والأب والجد بالاتفاق» وإذا كان أولاد الأم لا يرثون مطلقا مع الفرع الوارث فتقسم تركة المتوفاة المشار إليها آنفا على النحو الآتي

للأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وعدد من الإخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب الباقي تعصيبا؛ لأن الأخوات مع البنات عصبة ، وتكون المسألة من ستة : للأم سهم وللبنت ثلاثة وللأخت لأب سهمان ولا شيء من التركة للأخوة من الأم . ولا داعي للعول وزيادة السهام لأنه لا موجب لذلك إذ أن الأخوة لأم لا يرثون مطلقا . وأرجو ألا يضيق رحب الرسالة عن نشر هذه الكلمة لوجه الحق

الأقصر **علي إبراهيم القنديلي**

لمن كتاب الاعتصام ؟

جاء في مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوي الذي نشر في عدد الرسالة الممتاز عن الشاطبي القراء هذه الفقرة « وللشاطبي كذلك

كتاب الاعتصام ، وهو في الفقه » وبهذا خلط الأستاذ الفاضل بين عالمين جليلين لقب كلاهما بالشاطبي . أحدهما الشاطبي القراء الذي كتب عنه الأستاذ بدوى . والثاني هو الإمام ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي . والمتوفى في القرن الثامن من الهجرة ، وهو صاحب كتاب الاعتصام الذي نسبه الأستاذ الفاضل إلى الشاطبي القراء المتوفى في القرن السادس من الهجرة

ثم إن كتاب الاعتصام ليس في الفقه ، بل في الحوادث والبدع الدخيلة على الإسلام ، وهو كتاب جليل في بابه ، وقد طبع في مصر مرتين

عبد الرحمن الوكيل

تصحيح رواية حديث نبوي :

بدأ الأستاذ محرر « شموع تحترق » كلمته في جريدة المصرى بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٥٢ بقوله :

« قرأت في كتب الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريقه بمعلم يقسو على تلاميذه فقال له : رفقا أنجشة بالقوارير » أو شيئا حول هذا

والقوارير هم فلذات أكبادنا من صغار النشء رقاق النفس دقاق العظم صغار الأحلام لا يحسنون التقدير ولا يجيدون التدبير ... »

وحرصا على قداسة الحديث النبوي الشريف يطيب لي أن أذكر أصل الحديث ليظهر المعنى واضحا كما أراده الرسول الكريم

روى البخاري عن أنس قال : كانت أم سليم في الثقل وأنجشة غلام النبي عليه السلام يسوق بهن ، فقال النبي عليه السلام : يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير »

وكنى الرسول الطاهر عن النساء بالقوارير من الزجاج لضعف بنيتهن ورقتهن . والمراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب ولم يؤمن على النساء من السقوط ، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بهن ما لم تفده الحقيقة لو قال ارفق بالنساء يا أنجشة . فانظر يا أخي إلى بلاغة الرسول الأديب الأعظم عليه أفضل الصلاة !

ومن ذلك يتضح أن أنجشة ليس بمعلم يقسو على تلاميذه كما قال الأستاذ المحرر ، وإنما كان حاديا وراء الإبل وهي من عادات العرب تؤدى بأصوات طيبة وألحان رائعة !

ولعل الأستاذ رأى في رحلاته أو في قريته حاديا من الجمالين يحدو وراء إبله بغنوة جميلة متى كان في صوته رخامة ليقطع الطريق في راحة ويسر !

شطانوف محمد منصور خضر

جمع ظفر

جاء في المقال القيم الذي دبجته يراعة الأستاذ الفاضل أحمد قاسم أحمد في عدد الرسالة الماضي بعنوان « الشعب القلق » هذا التعبير « نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر » وقد لفت نظرى جمعه لكلمة « ظفر » على « أظافر » مع أن الذي أعلمه من كتب اللغة أن الجمع الصحيح هو أظفار جمع ظفر أو أظافير جمع أظفور ولا شيء سواهما ، وهذان الجمعان وحدهما هما اللذان وردا في الصحاح للجوهرى وفي القاموس المحيط للفيروزابادى ، فهل لدى الأستاذ الفاضل دليل آخر من كتب اللغة يثبت صحة هذا الجمع أم أنه سها عن الجمع الصحيح واطمأن إلى الخطأ الشائع ؟ إن كانت الأولى فإنني أرجوه — شاكرا له الفضل — أن يتكرم فيدلنا على المرجع الذي منه استقاه ؛ وإن كانت الثانية فلا ضير عليه ، فإنها كبوة الجواد ، وله الفضل على كل حال

عبد المؤمن محمد النقاش

آداب النفر

في البريد الأدبي بالعدد ٩٦٧ من الرسالة الغراء تعقيب للأديب الفاضل صلاح الدين حسن على ما ورد في مقال « القوة في نظر الإسلام » للأستاذ كامل السوافيرى ، المنشور في

العدد ٩٦٥ من الرسالة .. فحمل عليه لأنه حرف الآيات الكريمة التى استشهد بها .

١ – قال الأديب الفاضل : إن آية البقرة هي .. كتب عليكم القتال .. الخ » بدون « يا أيها الذين آمنوا . وهذا صحيح . ومع ذلك فالكاتب لا يستحق كل هذا اللوم « المؤدب » الذى ختم به الأديب تعقيبه ؛ لأنه من المعلوم أن سورة البقرة مدنية ، وتوجيه الخطاب للذين آمنوا من سمات السور المدنية . وشئ آخر هو أن هذه السورة ورد فيها ما يدعو إلى التشابه والتداعي من مثل : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص . الآية ، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. الخ والقرآن غالب لا يغلب

٢ – ذكر الأديب أن الكاتب « استشهد بالآية ٢٨ من سورة محمد . وصحتها محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ » .

وإذا كان الكاتب قد أخطأ مرة واحدة ، فقد أخطأ المعقب .. الحصيف مرتين .

أولا : – أن الصواب هو : « محمد رسول الله والذين معه أشداء .. الخ »

ثانيا : – أن الآية ليست من سورة « محمد » وإنما هى خاتمة سورة الفتح !

ويبقى بعد ذلك الفرق بين من لم يستعن بالمصحف فأخطأ ، وبين من استعان بالمصحف وخطأ ، فأخطأ .. !

وأما اللوم والتأنيب الذى أفاض فيه المصحح فنتركه ، آملين أن يحاسب نفسه ، قبل أن يحاسب الناس ، وأن يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت فى كتاب الله » .. كما يقول .. !

محمد فوزى العنتيل

عزل بضم فسكون :

تتردد على الألسنة فى هذه الأيام ، وحتى من رجال الإذاعة المثقفين ثقافة عالية عبارة « اعتدى البريطانيون على العزل الآمنين » فينطقون العزل بتشديد الزاى ؛ وهو مخالف للصواب وللأساليب العربية الصحيحة . وبالرجوع إلى قواعد اللغة نراها تقول :

إن أفعل فعلاء ومؤنثه يجمع على فعل بضم الفاء وتسكين العين ، مثل حمر – بضم فسكون – جمع أحمر حمراء ، ونقول رجل أعزل ، وامرأة عزلاء ، وهؤلاء الرجال عزل بتسكين الزاى – والنساء عزل كذلك . فالواجب إذن أن ننطق العبارة نطقا سليما صحيحا هكذا .. اعتدى البريطانيون على العزل – بإسكان الزاى – الآمنين »

محمد عبد المنعم أبو سيف

رسالة

أستاذنا محرر الرسالة
أرجوك نشر هذه المقالة
لمجد شعب يأخذ استقلاله
بالعزم والقوة والبسالة
مناضل مستعذب نضاله
وثائر محطم أغلاله
مستضحك الموت إن بداله
والموت فى الحق هو النباله

يا حبذا

(مهداة إلى الكاتب الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي)

يا حبذا هذا الجهاد ، وقل معى يا حبذا
قد قالها شعب إذا ما قال قولا نفذا
شعب عليه كل شعب فى الوجود تتلمذا
شعب سمت آثاره وعلى الخلود استحوذا
يحمى الحقيقة كلما لج الزمان وشذا
ويرى الكرامة أن يموت مناضلا مستنقذا
فشعاره : لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

الزقازيق توفيق عوضى



الجنية العاشقة

للكاتب الفرنسي اميل زولا

أرهفي أذنك يا نينون ! إن مطر ديسمبر يلطم الزجاج ، والهواء يرسل أنينه ، ويردد شكواه .. إنها أمسية من الأماسي الباردة ، التي يقضقض البائس فيها من القر ، أمام قصر الغنى الغـــارق في اللذائذ تحت توهج الذهب ! ... إخلعي حذاءك هناك ... وضعي حليتك الثمينة هنا .. وتعالي إلى أحضاني ، فـأروي لك قصة من أروع قصص الجان

نينون ! هناك على ذروة الجبل قصر عتيق ساد الظلام فيه وجثم الحزن فوقه .. ما ترين إلا أبراجا صاعدة نحو السماء ، وأسـوارا منيعة شماء ، وجسورا متحركة جهزت بالسلاسـل ؛ وملئت برجال أولى بأس شديد ، ابوسهم الحديد ، يسهرون الليل والنهار على الشرفات ، ولا يجدون راحة أو سلوة إلا بجانب سيد الحصن الجبار ، الكونت أنكيران

لو كنت رأيت ذلك الكونت يا نينون ، وهـو يتنزه في مماشي القصر الضيقة ، وسمعت قرقمة صوته ينذر بالوعيد ، إذن لأصابك الجزع ، واضطربت كما تضطرب أوديت ابنة أخيه .. ؟ تلك الحسناء الرعبيب التي تفتحت أنوثتها بين فرسان قساة ، كما تتفتح زهرة الأقاح ، إذا تنفس الصبح ، تحت قبلات الشمس المضحوك بين أشواك الجبال

كانت وهي طفلة ، إذا أبصرت عمها الشيخ ، وقد ضمت إلى صدرها الدمى زرت[1] عيناهـا وهبت مذعورة . تذرف الدمع . أما الآن فهي في ربيع الحياة . إن ثديها يانتاني يبثان الشكوى ويرسلان الآهات . وما يزال الخوف يستولي على نفسها كلما طلع أمامها هذا المحارب القديم ...

وكانت تأتي إلى برج بعيد ، تتلهى فيه بحياكة أعلام ورايات فإذا أعياها هذا العمل المؤنس لجأت إلى الله تبثه حزنها وتدعوه ، أو قلبت طرفها في السماء الضاحكة وسرحت بصرها في المروج الخادرة ... وكم من المرات ، يانينون ، كانت تقوم من مهجعها وقد ~~سجا الليل وهب النسيم~~ لتنظر إلى النجوم ... وكم من المرات كان قلبها يخفق لهـذا المشهد الساحر ، ويحن إلى تلك المروج المتواثبة نحو الأفق البعيـد ، ثم تسائل الكواكب عن ذاك الشيء الذي يتلاعب بروحها ويثير شجونها ...

ودت بعد تلك الليالي التي سـاهرت فيها النجم وبعد ذلك الحنين اللاهف للحب لو أنها ضربت يوما عنق هـذا الفارس الهرم فوقصتها[2] ولـكن ، وا أسفـاه ! ما كان لها حول ولا قوة ... إن كلامه جاف رعيب ، وإن نظراته جامدة تفزع ... فكانت تأخذ الإبرة مضطربة الحواس واجفة القلب وتعود إلى وشيها الشاق !

إنك تأسفين ، يانينون ، لتلك الحسناء ، إنها كالزهرة الريانة ذات العبير الطيب والأريج الشذي التي يصدف النـاس عن رائحتها ويلهون عن جمالها ... !

كانت ترنو يوما بعينين حالمتين إلى قريتين تربدان الهرب من الحصن ، فسمعت صوتا عذبا يتعالى عنـد باب القصر ، فانحنت من الـكوة ، وإذا شـاب حلو القسمات وسيم المنظر ، تأنس العين لمرآه ، يطلب المبيت ، مرسلا أنشودة بصوت رخيم ما فهمت لها معنى ولـكن خفق لهـــا قلبها . ورأرأ الدمع في عينيها ، ثم فاض ... فـساقطت دراً من نرجس ، وبللت غصنا من المارجولين[3] كان بين يديها ..

في سنة ١٨٦٤ كتب أميل زولا أقاصيص رائعة صدرت تحت عنوان « أقاصيص إلى نينون » صور الكاتب فيها صفحة من صحائف صباه ، إذ كان في البروفانس إلى جانب فتاته نينون ينشد السعادة ويتـذوق اللذة ، وذكر كيف كان يمس عليها ، كل يوم ، فوق الهضاب ، وبالقرب من الينبوع ، وبجانب المولد ، أقاصيص طريفة : وهي ذكرى لشباب ذابل وحب خالد

وزولا من أكبر الكتاب الذين عرفتهم فرنسا في القرن الماضي ، وكان مفنا ، إذا قرأت كتاباته وجدتها تفيض بالحياة وتتدفق بالشعر ، ولقد كان يميل إلى الابداعيين ، ويحذو حذوهم ؛ وألف قصصا كثيرة ، يظهر لك من خلالها أسلوبه المشرق ، الذي جمع بين سحر الفن وجمال التصوير

(١) يقال رزت عينه إذا توقدت من خوف أوغيره
(٢) وقصتها أي كسرتها يقال وقص الرجل إذا دقت عنقه
(٣) السـسق ، وهو نبات طيب الرائحة له أزهار كأزهار الياسمين ..

وساد سكون عميق، وبقيت الأبواب مغلقة . ونادى فارس من أعلى الأبراج قائلا :

إذهب وشأنك أيها الغريب ، فليس هنا سوى فرسان محاربين ..

وهم الطارق أن يذهب . ولكن أوديت ، التي عاق بصرها به ، فما يطرف أو يتحول ، تركت الغصن رطيبا بالدمع ، يفلت منها ، ليقع تحت أقدامه ورفع الشاب رأسه ، فإذا وجه صبوح يطل عليه ... والتقط الغصن ابشبعه لثما وتقبيلا . ثم ابتعد عن القصر ، وهو ينظر كل لحظة إلى الفتاة

فلما غيبه الطريق المنحدر قامت أوديت تدعو الله وتصلي له ؛ ثم شكرت للسماء وأحست السعادة فرقصت فرحا ، وهي لا تدري لكل ذلك سببا .. !

فلما كان الشفق جلست إلى راية تصلحها ، وهي تفكر في ذلك الفتى ، ثم داعب النعاس أجفانها فأذبلها وارتمت على فراشها ... واستسلمت لنوم قلق مضطرب ، ورأت حلما ...

إنه حلم ساحر يا نينون ! خيل إليها أنها ترى غصن المارجولين الذي أفلت من يديها ، وإذا بجنية ، ما رأت العين أجمل منها تخرج من زهرة تتفتح بين أوراق الغصن المرتعشة . ولها أجنحة من اللهب ، وتاج من الأزهار ، تتدثر برداء أزرق ، لونه رمز الأمل ، وتناديها بصوت حلو النبرات :

أوديت ! أنا الجنية العاشقة ! أنا التي أرسلت إليك لويس هذا الصباح ذاك الفتى ذا الصوت الحنون ... أنا التي ، وقد رأيتك تذرفين الدمع ، جئت لأجففه .. أضرب في الأرض ، وأؤلف بين قلوب العاشقين . ! ... أزور الكوخ ، كما أزور القصر ، وأجمع عصا الراعي إلى صولجان الملك . أنا التي أزرع الورد تحت أقدام المحبين .. ! ثم أربط بينهم بيدين تختلج القلوب لهم فرحا . أعيش بين الأعشاب ، وفي جذوة الموقد المتأكلة ، وتحت رفارف أسرة الأزواج .. ! وحيث أضع قدمي فهناك يقوم حديث المنزل ، ويكون همس القبل ! لا تبكي أوديت ، فقد أتيت لأجفف دموعك ...

وعادت الجنية إلى الزهرة التي خرجت منها، واختفت هناك ..

أنت تعرفين يا نينون أن جنيتنا في الوجود .. انظري إليها ترقص في الموقد ، وتأبى إلا أن نفكر بها

واستيقظت أوديت وأشعة الشمس تنير غرفتها والعصافير تصدح بالأغاني والنسيم الصافي يداعب شعرها المفدود الأشقر ، وقد حمل عبير القبلة الأولى التي سرقها من الأزهار على عجل . فنهضت والنفس مفعمة بالفرح ، وقضت يومهـــا تغني تارة وتنفض[٤] الحقول أخرى ، وترسل ابتسامة رقيقة لكل عصفور يحلق ، والأماني تغريها فتقفز هنا وترقص هناك ، ثم تضرب كفيها الصغيرتين بعضهما إلى بعض بقوة وسرور ...

فلما كان الطفل تركت مخدعها ، وهبطت إلى ردهة القصر الكبرى فوجدت فارسا يصغي إلى حديث عمها الكونت ، فعمدت إلى مغزلها وانتبذت مكانا إلى جانب الموقد تسمع إلى صر صر يغني

ونظرت إلى الشاب ، فإذا غصن المارجولين بين يديه ، يا لله ! إنه لويس ... وعلت وجنتيها حمرة ونضرة ، وكادت ترسل صرخة تدوي في فضاء الردهة ، ولكنها انحنت على الموقد تؤرث النار فيسمع لها حسيس كأنه بث الأحزان ، ويتمايل اللهب ، ويفور الموقد ، وتهيج النار . وفجأة ينبجس من الموقد نور شديد وتظهر الجنية العاشقة ، وقد افتر منها الثغر ، ومال منها الجيد ... فتجمع ثوبها الأزرق بين يديها ، وتنطلق في الغرفة دون أن يراها أحد إلا أوديت ...

أما الكونت فكان مسترسلا في حديثه يقص نبأ معركة هائلة وقعت مع الكفار ، ويقول :

— ... فتحابوا يا أولادي .. ودعوا أشباح الشيخوخة الزاهدة . أبقوا لها الأقاصيص بجانب النار المشتعلة ، ولا تجمعوا الآن إلى زفير النار سوى وسوسة القبل ..! سيكون لكم يا أولادي من ذكرى هذه الساعات التي ذقتم بها اللذة ما يخفف أحزانكم وهمومكم فيما بعد ... والمرء عندما يحب وهو في السادسة عشرة من عمره ، فالكلام لا يجديه أتفه نفعا . إن نظرة واحدة خير من خطاب طويل . تحابوا يا أولادي واتركوا الشيخوخة تتكلم ...

وأظلت الجنية العاشقين بأجنحتها ، فغدا الكونت لا يرى لويس الحبيب ، وهو يطبع قبلته الأولى على جبين أوديت الحبيبة

(٤) نفض الرجل المكان : إذا نظر إليه ليرى كل ما فيه

المرتعشة !

نينون ! يجب أن أتكلم لك على أجنحة جنيتي .. لقد كانت شفافة كالبلور ، دقيقة كأجنحة الذباب ، ولكنها أيضا كانت تنقلب إلى ظلام دامس كثيف فلا يتجاوزهـــا ! عندئذ رنين القبلات ووجيب الأفئدة ... ليكون العاشقان بنجوة من العيون ! وهكذا ... وبينما الشيخ غارق في حديثه عن معركة المؤمنين والكفار ، كانت معركة القبل قائمة بين لوئيس وأوديت ... !

لقد حضن الجسم الريان ، وقبل الخد الأسيل ، ودغدغ النهد الناعم ، وتمتم بالطرف الوسنان ... والشيخ في حديثه غارق مسترسل ... !

ليت شعري ما تلك الأجنحة ... ؟ إن الفتيات ليجدنهن أحيانا — كما قيل — فيأمن شر الأبوين ويتمتعن بالحبيب ، أحقا ما يقال يانينون ... !

واختفت الجنية العاشقة ، وقد أنهى الكونت قصته ، وذهب لوئيس شاكرا لمضيفة الكونت... ونامت الفتاة تحفها السعادة ، والأماني حولها حوم ترفرف ، والعين قريرة والبال هادئ

أما هذه الليلة ، فقد رأت جبالا كلها أزاهير ، زينت بألوف من الكواكب المصابيح نور كل منهـــا أشد وضاءة من نور الشمس ....

وأصبح الغد ، فلما متع النهار نزلت إلى حديقة القصر والتقت ثم بفارس حياها فردت له التحية، ولما ابتعد عنها نظرت إليه ، فإذا غصن الأرجوان معه رطب بالدمع . وها هي ذي أوديت تلتقي بالحبيب مرة أخرى ... لقد عاد إلى القصر بعد أن تنكر بزي فارس . أواه يانينون ! اشد ما يكون السرور عظيما عندما تلتقي الحبيبة بفتاها في وضح النهار ... !

وأجلسها على مقعد مخضوضر من العشب تحت ظلال السنديان ، واللسان صامت والعقل شارد ، وراحت العيون تتناجى ... والأفئدة تصغى ...

لن أقول لك يافتاتي ما تحدثت به شجرات السنديان عندما رأت الحبيبين . إن في سماع الحبيبة وهي بين يدى الحبيب لذة ، لقد جاءت الطير كلها تستمع إلى لحن الحب ، وتبقى أعشاشها فوق تلك الشجرات ...

وسمعت الفتاة على حين بغتة وقع أقدام الكونت وهو يمشي في الممر الطويل . . فأصابتها الرجفة وانتظرت شرا مستطيرا . . ولكن .. إن الينبوع لايزال يرسل خريره الحلو الشجي ، وهاهي ذي جنيتنا الحسناء تأتي فتظلل العاشقين بأجنحتها والهواء رخي ، ويختفيان عن الأبصار ، ويعاودان حديث القبلات . . ويقترب الكونت ، فيأخذه العجب ! إنه ليسمع أصواتا ولا يرى أناسا !

وانبرت الجنية الحسناء تقول :

— أنا حامية الحب ، أضرب على بصر من لا يحب غشاوة فما يسمع أو يرى ! لا تخافا بعد اليوم أمرا ، أيها العاشقان الجيلان .. بل أجيبا داعي الحب في وضح النهار ، والجو صاف وفي الليل والنسيم يرف ، وبجانب الينابيع والأوراق تحف . أرسلني الرب لأصرف عنكم أذى الرجال ، هؤلاء الساخرين من كل فضيلة ، وحباني بأجنحة من الحب وقال : «اذهبي ولتحاب القلوب ! فيا بشركم .. إني هنا أحمي الحب وأرعاه ...

ثم ذهبت تلتقط الندى غذاءها الوحيد تاركة وراءها الحبيبين ، وقد علق فم بفم ، واشتبكت كف بكف ..

وبقيا حتى الليل ؛ فلما دنت ساعة الفراق ظهر الأسى في نظراتهما، فأسرت الجنية إليهما بقول يخيل أنه راقهما ، فانبسطت أسارير وجهيهما إذ سمعاه . ثم رجواها شيئا . فأخرجت قضيبا معها ، ولمست به جبيني العاشقين

وفجأة ... أوه ! يا نينون . مالك دهشت

هكذا . انتظرى سأتم قصتي . . وفجأة انقلب لوئيس مع أوديت إلى غصنين من أغصان الأرجوان ! نعم من الأرجوان الغض الزاهي . نبتا جنبا إلى جنب ، ولامست أوراق الأول أوراق الثاني ، واشتبكا . هنا يا فتاتي . تتفتح أزهار لن تمتد الذبول إليها يده ، بل تبقى .. ويبقى أريجها متضوعا إلى الأبد

والآن يا نينون ، عندما نعود عند الروح الحمراء سنبحث عن أغصان الأرجوان ونسألها في أية الزهرات تختبئ الجنية الحسناء . إن لقصتي يا صديقتي مغزى ، وما كنت لأقصها عليك إلا لأنسيك مطر ديسمبر الذي يلطم الزجاج وأبث فيك هذا المساء شيئاً من الحب ... نحوى ... أنا !

ص . م

مطبعة الرسالة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون